السلام بين الحقوق والواجبات في الإسلام

د. محمد أحمد محمد الشحري (*)

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبدالله، صلوات ربي وسلامه عليه .. وبعد

ففي الوقت الذي كادت فيه الحضارة المادية، بكل ما فيها من سطوة وقوة مدمرة،تميمن على مجريات الحياة في شتى صورها، وبدا للكثيرين أنّ القيم العليا والمثل بدأت تتداعى،لا يجد المرء أمامه إلا إعادة قراءة الصفحات الخالدة في تاريخ الإسلام ،والقيم التي أرساها في سبيل إقامة المجتمع الفاضل، ومن تلك القيم العظيمة: قيمة السلام والسبل الموصلة إليه، كالعدالة، والإخاء، والمساواة، والود والتراحم.

ومن نافلة القول ينبغي أن نعرف أنّ السلام في الإسلام لم يكن دعوة نظرية مجردة، بل هو قيمة جوهرية في حياة المسلمين أخذوها من دينهم، ومن سيرة نبيهم ﷺ، في معاملاته، ومعاهداته،وأقواله،وأفعاله ﷺ، ومن القيم الإسلامية العليا التي بثها ﷺ في نفوس أصحابه عند قيام المجتمع الفاضل، أو دولة الإسلام الأولى في المدينة المنورة.

وعاش المسلمون في العصر النبوي وما تلاه، وفي فترات مختلفة من تاريخهم، هذه القيمة العليا كواقع معاش، فالجانب النظري لابد من تطبيقه على أرض الواقع، لكي يتبين قوة هذا المبدأ وبقائه.

ولعلّ انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها في مدى زمني لم يتجاوز مائة عام، لدليل ساطع على ماتمتع به الإسلام من قيم استطاعت أن تتغلغل في النفوس،وتوائم بين الحقوق والواجبات، وتصل في يسر إلى أفهام أهل البلاد المفتوحة، فمن غير المعقول أنّ انتشار الإسلام بهذه الصورة قد جاء بحد السيف، كما يدعي ذلك المستشرقون ومن شايعهم من المستغربين، فالقوة قد تسيطر على إقليم أو بلد، لكن العقيدة لا يمكن أن تصل إلى أهالي الإقليم أو البلد إلا من خلال التوافق النفسي، وسهولة تلك العقيدة، وتطبيق مفاهيم الإسلام وقيمه على أرض الواقع،

(*) أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

وهل رأت الدنيا دينًا يدخل قلوب أقوامٍ كادوا له وهاجموه، ودمروا جزءً كبيراً من حضارته، وإنما أعني غزوات المغول التي اكتسحت أمامها الأخضر واليابس، ودمرت حاضرة الخلافة الإسلامية في بغداد سنة٦٥٦هـ /١٢٥٨م، فأكبر قبائل المغول أسلمت بعد ذلك، بل أصبحت أحد أجنحة الإسلام في المشرق، وما كان ذلك إلا نتيجة لما وجده هؤلاء المغول من قيم إسلامية عليا، ومثل سامية، كلها في إطار عقيدة سلسة استطاعت أن تخترق القلوب.

على كل حال فإنَّ هذا البحث يتناول قيمة السلام بين الحقوق والواجبات في الإسلام، وبطبيعة الحال لم يستوعب البحث كافة الحقوق والواجبات لاتساعها وكثرتها في تاريخنا الإسلامي، فكان الإلمام بمضمون الموضوع وجوهره هو الأساس في هذا الموضوع وفق المحاور التالية، والتي راعيت فيها إدراج نماذج تطبيقية من حياة المسلمين في العهد النبوي، والخلافة الراشدة.

الأول: السلام في الإسلام.

الثاني: الإنسانية في ظل الحضارة الإسلامية.

الثالث: الحقوق والواجبات في الإسلام.

الرابع: من أُسس المجتمع الفاضل في الإسلام.

أ- المؤاخاة.

ب- صحيفة الموادعة.

ج- المعاهدة مع نصارى نجران.

الخامس: السلم والحرب في الإسلام.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ختاماً أسأل الله سبحانه التوفيق والسداد ، وأن يعمَّ السلام العادل وطننا العربي والإسلامي ونكون قدوة للعالمين في هذا الشأن.

والله من وراء القصد.

السلام في الإسلام:

أجمعت كل الشرائع على ضرورة تزكية النفس بمحامد الأخلاق، واعتبار ذلك مُتممًا لعقيدة التوحيد، ولزم كل الأنبياء عليهم السلام هذا المنهج الإلهي الرشيد، حتى جاء خاتم النبيين محمد بن عبدالله، صلوات الله وسلامه عليه، بشريعته الخالدة، التي ضمت محاسن الأخلاق، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١] وأكملها الله بما ليس بعده كمال، فكانت جامعة لغيرها مانعة من تبديلها أو تحريفها، وكانت القيم الإسلامية في قمة ما شرع الله، وما أقره العقل واستقرت عليه عمارة هذه الحياة، قيمٌ سَلمت من الشوائب، ومُنعت من النقص، وتصدرت كل ماشرع الله للسابقين من الصالحين، حتى تليق بالعقول بعد نضجها، والأفهام بعد اكتمالها، والتزمتها الأمة الإسلامية قيمًا وتعليمًا، فهي خير الأمم، وآخر الأجيال ،لتتناسب مع رسالتها القيادية لإسعاد البشرية وهداية العالمين[٢]

وهذه القيم شكلت جوهر الحضارة الإسلامية المعطاءة، ومن هذه القيم تبرز قيمة السلام، الذي يُشكل مرتكزًا رئيسًا في الحضارة الإسلامية، وقد وضح ذلك بصورة جلية في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فنجد لفظ: السَّلم[٣] ومشتقاته ترد في القرآن الكريم ١٣٨ مرة[٤]، من ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[٦] بل إن الجنة أطلق الله عليها اسم: «دار السلام» في قوله سبحانه: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٧] كما أنَّ السلام اسم من أسماء الله الحسنى قال تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[٨] وغير ذلك من الآيات التي ورد فيها ذكر السلم والسلام.

كما أنَّ الإنسان المسلم يختم صلاته كل يوم بقوله: «السلام عليكم ورحمة الله»، وبينت السنة النبوية أهمية السلام، ففي الحديث «إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها، فإنَّ الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته»[٩] فهذا على المستوى الشخصي ،كي يكون السلام والأمن النفسي سجية من سجايا المؤمن،وديدناً في حياته.

وإذا نظرنا في تاريخنا الإسلامي وحضارة الإسلام، نجد صور رائعة لتثبيت دعائم السلام في النفوس، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر، جعل الإسلام للجار حقوقًا حتى لو كان مشركاً أو يهودياً، فرسول الله ﷺ يقول: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق: الجار المسلم ذو الرحم، له حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذي له حقان: فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك»[١٠].

وقد ذكر الغزالي أنّ مُجاهد بن جبر قال: كنت عند عبدالله بن عمر، وغلام لـه يـسلخ شاة، فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي، حتى قال ذلك مرارًا، فقال له: كـم تقـول هذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه[١١].

فمن حق الجار أن يبدأه بالسلام، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويهنئه في الفـرح، ويصفح عن زلاته، فهذا من شأنه بث الطمأنينة والأمن النفسي. إضافة إلى ذلك دعا الإسـلام إلى الصدق والأمانة والتعاون في الخير الخاص والعام، والاتحاد بين أبناء المجتمع، وحث المسلمين على التحلي بهذه الصفات قولاً وعملاً، ومن شواهد ذلك قول الله سبحانه وتعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا . . .﴾[١٣] وقوله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ . . .﴾[١٤] والشواهد القرآنية في هذا الشأن كثيرة، وجميعها تدعو لمكارم الأخلاق، والعمل على بناء الفرد والمجتمع، للوصول إلى الطريق القويم.

كما فتح الإسلام باب التآلف والتواد، وغلبه على التباغض والتباعد، وحث على العفـو والصفح والتسامح، ولذا كان لابد من الاستجابة لدعوة التعارف الإنساني العـام القـائم علـى التسامح، لتتلاقى القلوب على غير عداوة وإحن، فالإسلام يدعو للتسامح غير الذليل، فهو يـبني الإنسانية، سواء كانت بين الأحاد، أم كانت بين الجماعات والدول.

هذه القيم، التي عرضنا بعضاً منها، عايشها المسلمون واقعًا ملموسًا، فرأت الـدنيا لأول مرة دينًا يُنشيء حضارة[١٥]، من غير أن يتعصب على غيره من الأديان، يجعـل الـسلام قاعـدة أساسية من قواعده، ويضرب المثل الأعلى في تعاملاته مع غير المسلمين[١٦]. وهذه النظرة الحضارية السامية لم تعرفها حضارة سابقة، أو تالية للحضارة الإسلامية، لكونها وازنت بين المـادة والـروح توازنًا دقيقًا، فالناس قبل الإسلام كانوا على قسمين:

الأول: تقضي عليه تقاليده بالمادية المحـضة، فـلا هـمَّ لـه إلا الحظـوظ الجـسدية، كـاليهود والمشركين.

الثاني: تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها، كالنصارى والصابئة، وطوائف من وثني الهند[١٧].

أما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقين: المادي، والروحي، في وسطية عادلة تُعدُّ من أهم صفات المؤمنين، والمسلم مطالب بالتوفيق بين مطالب الروح والجسد: قال تعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ . . .﴾[١٨].

وهذا التوازن الإيماني الدقيق وضع حدًا للإنسان وحقوقه، وظهرت مبادئ الإسلام جليـة في هذا الشأن، من حيث قبولها لاحترام العقائد الأخرى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[١٩] والالتزام التام

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالعقود والمعاهدات، والوفاء بهما، وهذا الالتزام لم يفعله المسلمون مجاملة لظروف عارضة، بل نابعة من صلب عقيدة الإسلام وتعاليمه التي تُلزم المسلمين بذلك، فالعلاقة التي يقررها الإسلام بين الجميع داخل إطار المجتمع الإسلامي هي علاقة ود، ورحمة، وتعاون، وأمن وسلام. والقاعدة التي تقوم عليها حياة الأفراد والجماعات داخل المجتمع الإسلامي هي: قاعدة التناسق بين الحقوق والواجبات، فيقرر الإسلام أنّ الغاية المقدرة للجميع هي: امتداد وإنماء الحياة، والتوجه بكل نشاط فيها وبكل نية وكل عمل إلى الله سبحانه خالق الكون، ومن ثم ينتهي كل نشاط فردي وجماعي، كما ينتهي كل نظام إلى النتيجة الطبيعية والحتمية المتمثلة في: السلام الكلي الذي ينسق بين مختلف النوازع والاتجاهات[٢٠].

فهذا هو الصعيد المثالي الذي يقوم على الأمن والسلام للمجتمع الحضاري ،كما حدده الإسلام في الجانب الاجتماعي والخلقي، وفي هذا الإطار يقول أحد المستشرقين[٢١]:

«كانت أخلاق العرب المسلمين في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق الأرض قاطبة، ولاسيما الأمم النصرانية، وكان عدلهم واعتدالهم ورأفتهم وتسامحهم نحو الأمم المغلوبة، ووفاؤهم بعهدهم، ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر، ويناقض سلوك الأمم الأخرى، لاسيما الأمم الأوربية أيام الحروب الصليبية» [٢٢].

كما يقول لوثروب ستودارد الأمريكي: «ما كان العرب قط أمة تحب إراقة الدماء، وترغب في الاستلاب والتدمير، بل كانوا على الضد من ذلك أمة موهوبة جليلة الأخلاق والسجايا» [٢٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما أوضح بعض هذه الجوانب سير توماس آرنولد، فذكر الكثير من تسامح المسلمين وعدلهم وخصالهم الحسنة[٢٤].

وكلام بعض المستشرقين الذي ذكرنا طرفاً منه، لا نتخذه حجةً أو برهاناً، لأنّ الحقائق الإسلامية، وشواهد التاريخ الإسلامي، براهين قوتها مستمدة من ذاتها، لا من أمر خارج عنها.

وقبل أن نختم هذه النقطة، ينبغي أن نوضح أنّ هذه الصورة الزاهرة، من الحضارة الإسلامية قد بلغت الدرجة المثالية العالية في الاتجاه القيمي والأخلاقي والعملي، وذلك على عكس المدنية الحديثة التي نشرت طائفة من الأمراض الجسمية سُميت بأمراض المدنية، فزادت نسبة الإصابة بالسرطانات، وضغط الدم وتصلب الشرايين والجلطة والذبحة في العصر الحديث، إضافة إلى طائفة أخرى من الأمراض السياسية والاجتماعية، أقلها انتشاراً: المذهب المكيافيلي[٢٥] في السياسة، فهي لا تزال ترى أمراً مشروعاً أن تنهب ثروات جماعات أخرى، وترى أن تسترق جماعة جماعة أخرى، حتى بعد إلغاء الرق الفردي، فتذهب مناداتهم بحقوق الإنسان سدى، لكونها تطبق وفق الهوى فحسب ! [٢٦].

فإذا قسنا حضارة الإسلام في أحد جوانبها الأخلاقية، عندما كانت تسود المساواة والحرية والعدل مع جميع أفراد المجتمع بما فيهم غير المسلمين، بهذه المدنية الزائفة المرتبكة التي نعيش فيها على الوهم، والاضطراب النفسي، لم تتردد في الحكم بأنّ حضارة الإسلام قدمت للعالم أجمع مبادئ خلقيه، ومثلاً عليا، وقيماً سامية،أعلاها السلام العام والخاص،والأمن بكل أشكاله وصوره.

الإنسانية في ظل الحضارة الإسلامية:

كانت نظرة الأمم القديمة إلى الإنسان الذي لاينتمي إلى جنسها، نظرة دونية، فهي تستعبد شعوب الأرض، ولا حقّ لهم في شيء من الكرامة والعزة والأخلاق والعقل أو الإرادة، فالإغريق "قدماء اليونان" نظروا إلى أنفسهم أنهم أسمى البشر، وأنهم خُصوا بكل الصفات الإنسانية من عقل وإرادة، وأنّ غيرهم من سائر البشر لم يشاركوهم في كريم صفاتهم الإنسانية، وأنهم في الحقيقة لا يبعدون كثيراً عن طبقات الحيوانات، وتجردوا من الصفات الممتازة التي خُلق عليها الإغريق، فكانوا يطلقون على من عداهم من سائر الشعوب الأخرى اسم :البرابرة، إيماءً منهم إلى أنّ مرتبة كل الشعوب الأخرى لا تستطيع أن تسمو إلى مرتبتهم، وكانت نظرة الاحتقار هي نظرتهم للأمم الأخرى، بل كان أرسطو يؤكد أنّ هؤلاء البرابرة لم يُخلقوا إلا ليُقرعوا بالعصى، ويستذلهم ويستعبدهم شعب اليونان(٢٧).

ويذهب أرسطو إلى أبعد من ذلك، فيعتقد أنّ الحياة لا يمكن أن تسير سيرها الطبيعي إلا إذا استرق اليونانيون ما عداهم من البرابرة، فيقومون بخدمة سادتهم.فالمبدأ عند اليونانيين القدامى أنه لا مساواة بين البشر على الإطلاق، فالأحرار- اليونانيون فقط- لهم كل شئ، والشعوب الأخرى في خدمتهم، ولا شيء لهم.(٢٨)

كذلك الحال عند الرومان الذين أقاموا أنفسهم أوصياء على الإنسانية كلها، وبسطوا سلطانهم بحد السيف والقهر على الكثير من شعوب الأرض، واستعملوا في سبيل ذلك كل الوسائل، واعتبروا غير الروماني في طبقة أدنى من طبقة الرومان، وليس لهم الحقوق التي يتمتع بها هؤلاء، وإنما خُلق هؤلاء ليكونوا رقيقاً يخدم فقط، وليس لهم الحق في التطلع لما وراء ذلك. وانطلاقاً من هذا المعتقد وضعوا نوعين من القوانين الأول: القانون المدني وهو خاص بالشعب الروماني فحسب، والثاني:قانون الشعوب، وهو خاص بسكان البلاد الواقعة تحت احتلال الرومان.(٢٩)

ونفس الوضع سار عليه اليهود الذين قالوا:إنهم شعب الله المختار،فيحق لهم من الحقوق ما لا يحق لغيرهم،فاستباحوا لأنفسهم أن يغشوا غير اليهودي،في الوقت الذي حرموا أن يغش اليهودي يهودياً مثله،وذلك لكون غير اليهودي لم يُخلق إلا ليكون خادماً لليهودي،كما تنص تعاليمهم على أنّ اليهودي يجب أن يُنصف اليهودي إذا تخاصم إليه مع غير اليهودي، سواء أكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنصافه لليهودي بحق أم بغير حق. [٣٠] فهذه هي النظرة التي رسختها الأمم السابقة على الإسلام للإنسان.

فكان من أهم ماحرصت عليه رسالة الإسلام: احترام الإنسان،وحقوقه والحفاظ عليه، من خلال الرسالة الخالدة التي بشر بها رسول الله ﷺ، وحملها العرب المسلمون إلى العالم، والتي تتمثل فيها بوضوح وجلاء النزعة الإنسانية، التي تؤصل احترام الإنسان أنى كان، دون النظر إلى دينه، أو لونه ، أو ثروته، أو جنسه، وشواهد الكتاب والسنة، ثم معاملة الكثير من أولي الأمر من المسلمين فيها الدليل على ذلك.

فالنزعة الإنسانية في الإسلام لم تكن وليدة فلسفات قديمة، اقتبسها العرب المسلمون من الشرق أو الغرب، وإنما كانت متأصلة فيهم، بما أوحاه إليهم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فبشروا بها في كل مكان، فتأثرت بهم الأمم، ونهلت من مواردهم.

فالقرآن الكريم أكثر من ذكر كلمة: الإنسان، وبني آدم، والناس، والعالمين، والإنس، والعباد، التي لا تخص المسلمين وحدهم، فكلمة الإنسان ذُكرت في القرآن في ٧٣ آية[٣١] من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٣٢] وغيرها من الآيات ذات الدلالة الواضحة على تكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٣٣].

والإسلام في رسالته جمع الإنسانية حول القرآن الكريم، ودعا الناس جميعاً دعوة عامة للخضوع لخالق الناس، وعبادته وحده، ولذلك جاء الخطاب للناس جميعاً في آيات قرآنية عديدة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [٣٥].

والخطاب في هذه الآيات للإنسانية بأحكام الإسلام، لا فرق بين أبيض وأسود، بل الجميع مخاطبون بتلك الأحكام الإسلامية، وقد ذكر المفسرون أنّ كل نص قرآني ابتدأ النداء فيه بيا أيها الناس، يكون الخطاب فيه للناس جميعاً، غير مختص بقبيل دون قبيل، لأنّ العنوان فيه للإنسانية كلها، وكل من يتصف بها داخل في الخطاب[٣٦].

وإذا كانت رسالة الإسلام لها ذلك العموم فإنها جاءت لإصلاح الجميع، فعاملت الأجناس كلها، وعممت بينهم أحكامها، فلا توجد أحكام خاصة لفرد دون فرد، أو لجماعة دون أخرى قال ﷺ «..ألا لافضل لعربي على عجمي،ولالعجمي على عربي ،ولا أحمر على أسود،ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى »[٣٧].

فسوت أحكام الإسلام بذلك بين الناس في المعاملة، فالمخزومية الشريفة عندما تسرق، وتشعر قريش بأنها ستُحد، تلجأ إلى الواسطة، فتكلم أسامة بن زيد حِب رسول الله ﷺ، ليشفع لها،

فيغضب رسول الله ﷺ ويقول: «أتشفع في حد من حدود الله ؟!» ثم قام قائلاً: يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»[٣٨] فالناس أمام القانون سواء، والمراكز الاجتماعية لا تعطل قوة القانون وسيادته، فالتفريق في المعاملة القانونية أدى ويؤدي إلى ضياع الأمم وهلاكها، كما أنّ تطبيق القانون من شأنه بث الأمن بين جميع الناس.

وقد حرص رسول الله ﷺ على ذلك، فنجده يحاسب من يستعمله على عمل من الأعمال، كي لا يشعر ذلك العامل أنه فوق القانون، أو أنّ له حقاً فوق حقوق الناس.

فقد صحّ أن النبي ﷺ بعث رجلاً من بني أسد يقال له: ابن اللتبيّة، ليجمع زكاة بني سُليم، فلما عاد إلى المدينة قال للنبي ﷺ: هذا لكم، وهذه – يعني أموالاً أخرى – أُهديت إليّ. فقال رسول الله ﷺ «فهل جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً» ثم خطب ﷺ الناس فقال: «أما بعد ... فإني أستعمل رجالاً منكم على أمورٍ مما ولاني الله، فيأتي أحدكم فيقول: هذا لكم، وهذه هدية أهديت لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه، حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، فو الله لا يأخذ أحدكم منها شيئاً بغير حقه، إلا جاء الله بحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقى الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر – ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه – فقال: اللهم هل بلغت»[٣٩].

فلأجل إرساء المبدأ والقيمة والمُثل، لابد من المساواة التامة أمام القانون، فبهذه التطبيقات العملية ينتشر الأمن والعدل، فعايش المسلمون هذه القيم من خلال تطبيق عملي مُعاش، وعلى هذا النهج الكريم سار الصحابة والخلفاء الراشدون ﷺ جميعاً، فقد ثبت أنّ عمر بن الخطاب ﷺ كان يُحصي ثروة عماله قبل أن يوليهم أعمالهم، ليتمكن في أي وقت من محاسبتهم، ومعرفة ماقد يكون اكتسبه أحدهم عن طريق استغلال نفوذه، أو حصل على ماله بطريق غير مشروع، أو اشتط على الناس، فلم يفرق في ذلك بين قوي وضعيف، ولم يستثن أحداً من ذلك، فيذكر «البلاذري» أنّ «عمر ابن الخطاب» كان يكتب أموال عماله إذا ولاهم، ثم يقاسمهم مازاد على ذلك، وربما أخذه منهم، فقد كتب إلى عمرو بن العاص: إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان، لم تكن حين وليت مصر. فكتب عمرو إليه: إنّ أرضنا أرض مزدرع ومتّجر، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه، لنفقتنا. فكتب إليه: إني قد خُبرت من عمال السوء ما كفى، وكتابك إليّ كتاب من أقلقه الأخذ بالحق، وقد سؤت بك ظناً، ووجهت إليك «محمد بن مسلمة» ليقاسمك مالك، فأطلعه طلعة، وأخرج إليه ما يطالبك، واعفه من الغلظة عليك، فإنه برح الخفاء. فقاسمه ماله[٤٠].

وثبت أنّ عمر بن الخطاب ﷺ مرَّ ببناء يُبنى بحجارة وجص فقال: لمن هذا ؟ فذكروا عاملاً له على البحرين فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها، وشاطره ماله[٤١].

فبتطبيق هذه القواعد والقوانين، تستقيم أمور الناس، ويأمن الجميع.

ومما يتعلق بالنزعة الإنسانية في الإسلام، نجد أنّ أصل التكوين الإنساني واحد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (٤٢).

فلا يمكن ولا يصح أن يُحقر إنسان للونه، ولا لإقليمه، ولا لأنه غير متحضر، بل إنه لا يُحقر الإنسان أخاه الإنسان أبدا، والتفاوت بين الناس إنما هو بالفضيلة والتقوى، والعمل الصالح والإخلاص فيه، وعدم الاعتداء على الآخرين.

فالقرآن الكريم جعل اختلاف الناس شعوباً وقبائل للتعارف والتعاون، لا للتباغض والتنازع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٤٣).

واختلاف الشعوب غايته كما أرادها الله سبحانه: التعارف، وهذا التعارف له ظواهر منها: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام، ثم التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض، وبالتالي لا يوجد تعارف على أساس السلب والنهب والاحتقار، فأساس العلاقات الإنسانية بكل صورها: الاحترام والتعاون، أما إذا كان الأساس قائماً على الإرهاق النفسي، وعدم الاحترام، فإنّ ذلك يكون استعباداً واسترقاقاً(٤٤).

وقد ضرب الإسلام المثل الأعلى في تعاملاته مع غير المسلمين، فلهم أن يعتنقوا ما شاءوا من معتقدات من غير إكراه ولا إرهاق، فالإسلام يقرر «لا إكراه في الدين» (٤٥) بل يذهب به فرط احترامه للحرية إلى حماية العقيدة الدينية لمخالفيه، دون أن يعتدي على أحد، فقاعدته في ذلك «وأُمرنا أن نتركهم وما يدينون» (٤٦) وقد روي عن النبي ﷺ الكثير من الأقوال التي تحث على رعاية أهل الذمة من ذلك قوله ﷺ «من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه» (٤٧) وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب ﷺ عند وفاته: «أوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ﷺ، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفون فوق طاقتهم(٤٨).

فهذه نظرة الإسلام للإنسان بصفة عامة، هدفت إلى تحقيق الأمن والحفاظ على حياة الإنسان، وعلى دينه، وعلى ماله(٤٩)، فتحقق العدل والسلام بين الناس جميعاً.

الحقوق والواجبات في الإسلام:

ورد استعمال كلمة الحق في لغة العرب بمعان متعددة، منها: أنه اسم من أسماء الله تعالى، ومنها الثبوت والوجوب، واللزوم، والأمر المقضي، والحزم، والعدل، والإسلام، وفي شرح العقائد الحق عُرفاً: الحكم المطابق للواقع، يُطلق على الأقوال، والعقائد والأديان، والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك، والحق نقيض الباطل(٥٠).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد ذكر الفقهاء – القدامى – معنى كل من حق الله وحق العبد – فالقرافي يقول: إنّ حق الله هو أمره، ونهيه، وإنّ حق العبد هو: مصالحه[٥١]، أي أنّ كل الأوامر التي أمرنا بها الله عز وجل، والنواهي التي نهانا عنها هي حقوق له سبحانه، وأنّ حقوق الناس هي الأمور التي تتحقق بها مصالحهم[٥٢].

وقد ذكر الشاطبي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م) أنّ كل حكم شرعي ليس بخالٍ عن حق لله تعالى، وهو: جهة التعبد فإنّ حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وعبادته: امتثال أوامره، واجتناب نواهيه بإطلاق، فإن جاء ماظاهره أنه حق للعبد مجرداً – كالقصاص فالعفو عنه حق للعبد – فليس كذلك بإطلاق، بل جاء على تغليب حق العبد في الأحكام الدنيوية.

كما أنّ كل حكم شرعي فيه حق للعباد، إما عاجلاً، وإما آجلاً، بناءً على أن الشريعة إنما وضعت لمصالح العباد، وعادتهم في تفسير حق الله: أنه ما فهم من الشرع أنه ولا خيرة فيه للمكلف، كان له معنى معقول، أو غير معقول. وحق العبد: ماكان راجعاً إلى مصالحه في الدنيا، فإن كان من المصالح الأخروية، فهو من جملة ما يُطلق عليه أنه حق لله، ومعنى التعبد عندهم أنه مالا يعقل معناه، على الخصوص، وأصل العبادات راجعة إلى حق الله، وأصل العادات راجعة إلى حقوق العباد[٥٣].

وقد تناول الفقهاء المحدثون المعنى الاصطلاحي للحق فقالوا: إنّ المقصود به مصلحة[٥٤] مستحقة شرعاً، أو هو اختصاص يقرر به الشرع سلطة وتكليفاً، أو هو مصلحة ثابتة للشخص على سبيل الاختصاص والاستئناء، يقررها المشرع الحكيم[٥٥].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما المقصود بالواجب في اللغة: فيعنى اللازم، يقال: وجب الشيء وجوباً إذا ثبت ولزم، والوجوب: الثبوت، والواجب والفرض عند الشافعي «ت ٢٠٤هـ» سواء، وهو: كل ما يعاقب على تركه، وفرق بينهما أبو حنيفة «ت ١٥٠هـ» فالفرض عنده آكد من الواجب[٥٦].

وقد ذكر الفقهاء أنّ الواجب ما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه، فالصلاة والزكاة والحج، وعدل الحاكم، وحكمه بأحكام الشريعة الإسلامية، والمساواة أمام القانون، كلها أمور واجبة، يُثاب من وجبت عليه إذا فعلها، ويعاقب إذا تركها[٥٧].

أصل الحقوق والواجبات في الإسلام:

الحقوق والواجبات في الإسلام ليس لها منبع أو أصل سوى الشريعة الإسلامية، وأحكامها المستقاة من الكتاب، والسنة، والإجماع بمعنى اتفاق المجتهدين من علماء أمة محمد ﷺ على حكم شرعي في عصر غير عصر الرسول، ثم القياس وهو: إثبات مثل حكم معلوم في معلوم آخر، لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت[٥٨].

فلا واجب إلا ما أوجبه الله عز وجل في شريعة الإسلام، ولا حق إلا ما جعلته الشريعة حقاً.

فالشريعة الإسلامية قد اشترطت في استعمال الإنسان لحقوقه؛ ألا يضر بمصالح الغير، وأن يكون ذلك متفقاً مع مصلحة الجماعة، فإذا كانت حرية الانتفاع بالملك تؤدي إلى الإضرار بالغير، فإنها تُمنع، حتى تكون في حدود منع الضرر، وفق قاعدة «لا ضرر ولا ضرار»[٥٩]، وقد طبق رسول الله ﷺ ذلك، وقضى برفع الضرر[٦٠].

كذلك الحال بالنسبة لاحترام الشخصية الإنسانية في ظلال الإسلام، فلا شخصية إنسانية إلا مع الحرية، حرية الإقامة، والانتقال، والتدين، وحرية الفكر والرأي، وحرية الدولة، لذلك كان الإسلام والتحكم نقيضين لا يجتمعان، فليس لإنسان أن يتحكم في غيره، ولا للدولة أن تتحكم في الناس، ولكن تحكم عليهم إن اشتطوا أو تجاوزوا حدودهم. وحتى العقوبات في الإسلام لا تتجه إلى تقييد الحرية، لأنَّ التقيد دائماً منعٌ للحركة، والحركة هي الحياة، والإسلام دين الحياة، ولكن ما معنى الحرية ؟ إنَّ الحرية التي تفسر بالانطلاق من القيود الإنسانية والأدبية ليست حرية، ولكنها لون من ألوان الانفلات الأخلاقي، لأنَّ الحرية مسئولية، والإنسان الحر هو الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية، ويضبط نفسه، فلا تتدلى إلى الدنيء من الأمر، ولا ينطلق وراء أهوائه وشهواته، ولا يكون عبداً لها، فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهوته، والأمة أو الدولة يجب أن يكون فيها المعاني التي تكون في الحر، لأن الدولة شخصية معنوية تتصف في المعاملة بما يتصف به الشخص الحقيقي، فلا يمكن أن تكون دولة حرة، أو أمة حرة تلك التي تفرض أنَّ غيرها عبيداً، أو أنَّ لها من الحقوق على غيرها أكثر مما لها[٦١].

وهكذا في كل الحقوق، لا فرق بين الحقوق العامة التي تثبت لكل الأفراد، والحقوق الخاصة التي يستأثر بها أصحابها دون بقية الناس[٦٢] ، وقد وضح الأصوليون أنواع الحقوق في الشريعة الإسلامية وفصلوا القول في ذلك[٦٣].

ومن نافلة القول في هذا الشأن – أعني الحقوق والواجبات في الإسلام – أنَّ الإنسان الذي يعرف أنَّ له حقاً معيناً، ينبغي أن يُدرك أنَّ عليه واجباً، وذلك ما حققته الشريعة الإسلامية، بتأصيل مبدأ العدالة[٦٤] التي تُشكل ميزان الاجتماع في الإسلام، والتي يقوم بها بناء الجماعة، فكل نسيج اجتماعي لا يقوم على العدالة منهار، مهما تكن قوة التنظيم فيه، لكون العدالة الدعامة، والنظام والتنسيق السليم لكل بناء، لذلك كانت أجمع آية لمعاني القرآن الكريم[٦٥] قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٦] فالعدل في الإسلام مقصد أسمى، ويتجه في اتجاهات مختلفة مع النفس، ومع الآخرين، وفي الأحكام والأقضية والشهادات، وأمام القانون، وفي العدالة الاجتماعية.

كما أن العدالة هي طريق الزلفى إلى الله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[٦٧].

والعدالة ذات شعبتين، الأولى: العدالة النفسية، بأن يقدر كل إنسان لنفسه من الحقوق بمقدار ما يقدره لغيره، على ألا يزيد على الناس في حق، وقد يفرض على نفسه الزيادة في الواجب لا في الحقوق، وهذه العدالة النفسية هي التي توجد الاتصال المستمر، والتي تقوي بناء الجماعة، وتنفذ ديناً من غير قهر، ولا حكم مسيطر، بل يكون الحكم من ذات الضمير، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»[٦٨].

الثانية: العدالة التي تنظمها الدولة، ولن نستطيع تنفيذها إلا إذا كانت قائمة على أساس من العدالة النفسية عند الحاكم والمحكوم على سواء[٦٩]. وعلى هذه القيم كان تأسيس المجتمع الفاضل في الإسلام.

من أسس المجتمع الفاضل في الإسلام:

المجتمع في الإسلام مجتمع معنوي، أي أنّ العلاقات الاجتماعية فيه تُبنى على الروابط الأدبية في تواد وتراحم، لا على أساس من العلاقات المادية فقط، وهذا هو الفارق الجوهري بين الحضارة الإسلامية في جوهرها، والحضارات المادية الأخرى، ذلك لكون العلاقات المعنوية التي تقوم على المودة والرحمة والأمن النفسي، هي التي يقوم عليها بنيان الجماعة الإنسانية. وهي الروابط التي تربط آحاد الناس ببعضهم.

فالمجتمع المادي الذي يُبنى على الاجتماع أو على الاقتصاد، فهو مثل الأحجار المتراصة التي يجاور بعضها بعضاً من غير ارتباط وثيق بين أجزائها، ومهما يكن فيه من تنسيق هندسي، لا يمكن أن يكون متلاحماً متصلاً وإنه ينهار لأقل عاصفة تثور.

أما المجتمع المعنوي القائم على أساس من العلاقات الروحية الرابطة بين أجزائه، ذلك المجتمع المتوازن بين المادة والروح، فهو مجتمع متماسك قوي غير قابل لأن تتداعى لبناته، لأنه مترابط الأجزاء بما لا يقبل الانقطاع، مادام يُغذى بالروح والدين، وقد يكون غير منسق اقتصادياً أو هندسياً، لكنه قوي متين راسخ الأساس، والاعوجاج الذي قد يبدو فيه لا يكون دليل الضعف دائماً، بل قد يكون الاعوجاج الذي يبدو ظاهراً من أسباب قوة الجسم، وقد يكون التنسيق المصطنع، الذي يُعنى بالمظهر دون المخبر، دليل الضعف وليس دليل القوة.

ولذلك كان الأساس في كل نظام وضعه الإسلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية، أن يقوم على الدين وتوجيهاته، وذلك مما يغذي نفوس الآحاد للاجتماع، ونفوس الجماعات لتأتلف[٧٠].

والتشريع الإسلامي – المدني – للعلاقات بين الأفراد في الأمة؛ يقوم على أساس أنّ الروابط التي تجمع الناس هي روابط إنسانية في المقام الأول، أي يحكمها المستوى الإنساني بخصائصه المميزة، وأساس الروابط الإنسانية في القرآن الكريم هو: الإيمان بالله وحده، لكون الإيمان وحده ينطوي على الإيمان بالقيم العليا، والمثل الرفيعة، والتي يسعى الإنسان العابد إلى الاقتراب منها بعبادته[٧١] ، حتى تصبح هذه القيم ديدناً له في سائر حياته.

والمجتمع الفاضل في ظلال الإسلام، ووفق القيم النابعة من الإيمان بالله، وضع قواعده الرسول ﷺ، فأمن الناس، وعرفوا مالهم من حق، وما عليهم من واجب، فعمّ الأمن ذلك المجتمع.

وفي سبيل إقامة هذا المجتمع؛ كانت هناك خطوات تطبيقية من جانب النبي ﷺ عندما هاجر إلى المدينة المنورة، وبدأ في إرساء قواعد المجتمع الفاضل. ومن هذه الخطوات العملية في هذا المنحى:

- المؤاخاة

بعد استقرار النبي ﷺ في المدينة، أعلن المؤاخاة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، فذكر «ابن إسحاق» أنّ النبي ﷺ قال: تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ فقال: هذا أخي، ثم آخى بين باقي الصحابة، فكان حمزة بن عبدالمطلب وزيد بن حارثة أخوين، وجعفر ابن أبي طالب، ومعاذ بن جبل أخوين، وهكذا آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار[٧٢] . وهم النواة الأولى والركيزة الرئيسة للمجتمع الإسلامي الأول.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكمن أهمية هذه الخطوة الجوهرية في أنها تنشر الأمن والسلام بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم، والأنصار الذين أحسنوا استقبالهم. وإذا كان العرب قد عرفوا الحلف القائم على التضامن، فإنّ الإخاء الذي تم كان أعمق من أي حلف، فالإخاء كان له سمة اجتماعية عميقة، تتبعها التزامات مادية[٧٣] ، وفوق كل ذلك إخاء في الله قائم على أساس رسالة الإسلام السامية، وما تنص عليه من حقوق وواجبات، وفوق أي عصبية قبلية، أو انتماء لعرق أو جنس، فالكل داخل الإسلام سواء، وقد ذكر «ابن سعد» أنّ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت على الحق والمؤاساة، وكانت بين المهاجرين على التوارث[٧٤] حتى نزل قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [٧٥].

والمؤاخاة تقوم على الاتصال الفردي، فتفرق المجموعة إلى أفراد، يرتبط كل منهم بفرد آخر، بصرف النظر عن قبيلته أو عشيرته، ويجعل مسؤولية حماية المهاجرين على أفراد من الأنصار، فهي رابطة الأخوة الدينية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٧٦] كما أنّ مبدأ المؤاخاة من شأنه أن يُطفئ أي عصبية قبلية من شأنها أن تؤجج الخلافات بَين أبناء المجتمع الواحد، فتفرقة الأفراد تترك لهم حرية التصرف، لكنها لا تشتتهم، لأنّ العلاقة عميقة الجذور بالرسول ﷺ وبالإسلام، وكان تأثير مبدأ

المؤاخاة على الأنصار قوياً، لأنه يلقى عليهم مسؤولية إضافية في الحماية، وتوثيق الصلة بالإسلام، وتتيح للرسول ﷺ توسيع نطاق وقوة روابطه بالأنصار، وبذلك تكونت الأسرة الإسلامية الموحدة المتعاونة، ونسي كل فرد أرومته ومحتده، وتطلع إلى رباط الإسلام الذي ألف بين معتنقيه، فكان الغرض من المؤاخاة: اجتماعي ونفسي[٧٧]، وآتى ذلك ثماره إذ أمن الجميع، وثبتت المُثل الأخلاقية التي دعى إليها الإسلام، لتكون واقعاً معاشاً على الأرض .

صحيفة الموادعة:

ثم كانت الخطوة التالية لإقامة المجتمع الفاضل، والتي تمثلت في الصحيفة التي كتبها النبي ﷺ بين المسلمين من المهاجرين والأنصار، مع اليهود، وفيها وادع النبي ﷺ يهود المدينة، وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم.

وهذه الصحيفة الخالدة تُعدُّ نبراساً لجميع الأمم في مختلف الأزمنة، لأنها حددت إطاراً عاماً لكل من يقطن في المدينة التي كانت تضم طوائف من اليهود والمشركين، ولكي يتحقق الأمن الخاص والعام، والسلام الاجتماعي، فلابد من وضع نظام يحفظ لكل الطوائف التي تعيش داخل المدينة حقوقها، حتى ولو كانت غير مسلمة، فالكل يعيش في وطن واحد هو المدينة المنورة، وعندما يأتي أي خطر لن يفرق بين فرد وآخر، لذا لابد أن يتعاون الجميع لصد هذا الخطر.

فكانت الصحيفة الجامعة والميثاق القوي، والدستور المنظم للعلاقة بين أفراد المجتمع جميعاً.

فرسول الله ﷺ في سبيل متابعة الجهود لتوضيح معالم الدين، ونشر الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، وإقامة المجتمع الفاضل، كان لابد أن يمهد السبل لتحقيق ذلك، فاقتضى الأمر معالجة مختلف القضايا بما يكفل سلامة الجميع، وأمن الأفراد والجماعات، وتأمين الوطن، فانتشار الإسلام بين الناس لا يتوقف على مجرد سمو مبادئه وسلامة أفكاره، وإنما لابد أن يظهر نجاح هذه المبادئ بهذا السمو في التطبيق العملي لها، على أرض الواقع، وتأسيس قاعدة متينة تُظلُ الجميع.

فكانت الصحيفة إحدى الخطوات الجوهرية لتحقيق ذلك الأمر، فيعرف كل فرد ماله وما عليه، فهي الدستور الذي يبين الخطوط الرئيسة لتنظيم الدولة والمجتمع من الداخل، ولتنسيق العلاقة بين الجميع في إطار من الود والتعاون، وبذلك يشعر الجميع بالأمن والسلام.

فسبقت تلك الوثيقة دساتير العالم – حتى الحديث منها والمعاصر – في كونها حددت الإطار العام لحقوق وواجبات جميع أفراد المجتمع، فلا تنتهك حرمة إنسان، ولا حريته، ولا ماله ، ولادمه... الخ ما نصت عليه الوثيقة والتي كان من نصوصها:

١- أنَّ المسلمين أمة واحدة من دون الناس، وأنَّ المهاجرين من قريش على ربعتهم، يتعاقلون[٧٨] بينهم، وهم يفدون عانيهم[٧٩] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٢- بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكذلك الحال لبني الحارث وبني ساعدة وبني جشم، وكافة طوائف المدينة.

٣- أنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً بينهم[٨٠]، أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل[٨١]، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

٤- أنّ المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٨٢] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأنّ أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم، وألا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر، ولا ينصر كافراً على مؤمن.

٥- أنّ ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأنّ المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

٦- إنه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.

٧- أنّ سِلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلا على سواء وعدل بينهم.

٨- أنّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

٩- أنّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوقع إلا نفسه، وأهل بيته.
وكذلك كافة طوائف اليهود القاطنين في المدينة، لهم مثل بني عوف.

١٠- أنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.

١١- أنّ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأنّ الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

١٢- أنه ما كان من أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده، فإنّ مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ، وأنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

١٣- لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم، وأنّ الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله ﷺ[٨٣].

ومن خلال بعض النصوص التي أوردناها من الصحيفة، يتبين الأساس القوي للعلاقة بين أفراد المجتمع الواحد، المسلمين مع بعضهم، ثم تحديد العلاقة مع الطوائف الأخرى، والتي تكفلت لهم الصحيفة بالأمن والأمان،والحرية ، وأنّ الجميع وحدة واحدة ضد من هاجم المدينة، وأنّ التعاون بين الجميع في الإنفاق حال تعرض المدينة لأي هجوم واجب على الجميع، وأنّ عهد الله واحد للجميع، وأنه لا حماية لظالم أو آثم، وأن الوطن حرم آمن لرعية هذه الدولة.

– وهذا الدستور – الصحيفة – الذي صيغ لينظم القواعد الأساسية لدولة المدينة ورعيتها، بعد أن نزل الوحي بقسم كبير من القرآن الكريم، يُعدُّ دليلاً على أنّ القرآن الكريم بالنسبة لدستور الدولة، هو الإطار العام لها، فيه المبادئ، وبه الروح، والمقاصد والضوابط والغايات،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك لا يمنع من وضع دستور يضبط القواعد وينظم الحقوق، ويحكم العلاقات بين الأفراد،والجماعات، ويصوغ ذلك صياغة محكمة الدلالة بينة الحدود، بما لا يتعارض مع الإطار العام.

- كما أنَّ نص هذه الصحيفة بما تضمنته، أمر يدعو إلى العزة، فحضارة الإسلام وفق هذه الصحيفة وما حددته بدقة، يدل على أنَّ الفكر السياسي الإسلامي في ذلك الوقت، قد وصل إلى درجة كبيرة من السمو، فاستوعب الإسلام كافة الطوائف الموجودة في المجتمع، وذلك بتحديد دقيق فيه أمان للفرد والجماعة، والوطن، فضلاً عن روح التكافل والتضامن بين الجميع، وإذا نظرنا إلى الإطار الزمني والمكاني للصحيفة، نجد أن هذه الوثيقة سبقت كافة الأمم في رعاية الذين ينضون تحت لوائها، وضمنت لهم حقهم في العيش الآمن ،حتى لو كانوا غير مسلمين.

- كما أنَّ الصحيفة تُظهر اهتمام الرسول ﷺ بأمر العدالة وتنظيم القضاء، فقد خصتها الصحيفة بعدد من الأحكام، بحيث يمكن القول إنهما كانا من أبرز الغايات التي استهدفت الصحيفة تأمينها، وذلك راجع إلى إدراك الرسول ﷺ لأهمية العدالة والقضاء لكل مجتمع سليم، وأنَّ فقدانهما من أبرز العيوب، وأقوى أسباب القلق والاضطراب، ونص القرآن الكريم على جعل القضاء في الأمور المتعلقة بالأمن العام إجبارياً، وحصره في يد الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٨٤).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- وبذلك أقام النبي ﷺ دعائم المجتمع الإسلامي الفاضل في المدينة المنورة، فتأسيس وترسيخ كيان الأمة من الداخل، والعمل على توحيدها، هو الأساس الأول في قيامها ومن ثم تطورها وازدهارها. فكانت إدارة الرسول ﷺ في المدينة تهدف إلى تكوين أمة مترابطة فيما بينها، للأفراد فيها حرية العمل والتنظيم، وللسلطة المركزية حق الاهتمام بالعدالة، والأمن العام والقضاء، وأمور الحرب والسلم، على أن تكون التقوى والأخلاق الإسلامية الفاضلة أساس أعمالهم وتصرفاتهم.

المعاهدة مع نصارى نجران:

ولتحقيق السلام العام في المدينة وما حولها، نجد أنَّ رسول الله ﷺ يعمل على نشر الأمن بصورة أشمل، لتضم طوائف من غير المسلمين، فكانت الوثيقة الدستورية لنصارى نجران – باليمن – لتكون عهداً وميثاقاً لكل من ينتحل ويتدين بالنصرانية عبر الزمان والمكان، فبعد أن أتم الله على المسلمين فتح مكة سنة ٨هـ/٦٢٩م، والذي تجلت فيه سماحة الإسلام مع من ناصبوه

العداء[٨٥]،وأمن الجميع، واستتب الأمر للإسلام في معظم أرجاء الجزيرة العربية، وجاءت الوفود تترى على النبي ﷺ في العام التاسع للهجرة، والذي أُطلق عليه عام الوفود[٨٦] يعقد النبي ﷺ في العام العاشر للهجرة، معاهدة مع نصارى نجران، هذا نصها: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب محمد النبي ﷺ لأهل نجران – إذ كان عليهم حكمه – في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورقيق، وأنزل ذلك كله لهم على ألفي حلة من حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفي كل صفر ألف حلة، مع كل حلة أوقية من الفضة، فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وماقضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب.

وعلى نجران مُؤنَةُ رُسلي ومنعتهم مابين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ومعرة، وماهلك مما أعاروا رسلي من دروع أو خيل أو ركاب، أو عروض، فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه إليهم. ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم، وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم، وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليه دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون ولا يعسرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذمي قُتل، فذمتي منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى مافي هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله أبداً، حتى يأتي الله بأمره، مانصحوا وأصلحوا ماعليهم غير متغلين بظلم[٨٧].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذه الوثيقة التاريخية العظيمة التي حددت بدقة حقوق وواجبات المسلمين تجاه نصارى نجران وحقوق وواجبات نصارى نجران تجاه المسلمين، تشكل دستوراً لطبيعة العلاقة التي ربطت بين الطرفين، واشترطت من ضمن شروطها: الحرية الدينية لنصارى نجران، وتأمينهم، وتأمين دور عبادتهم، وأموالهم وأنفسهم، وما تحت أيديهم، وفق ما أقرته الوثيقة، وتتوالى العهود والمواثيق بين النبي ﷺ وكثير من القبائل، وبخاصة في العام التاسع الذي عُرف بعام الوفود، وكلها لتنظيم السلم وحسن الجوار. ثم بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، جاء وفد نجران إلى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله، فأجارهم بالعهد الذي كتبه النبي ﷺ[٨٨]،وهكذا عاش الجميع وفق هذه المعاهدات والمبادىء التي اشتملت عليها.

السلم والحرب في الإسلام:

وبمثل هذه القواعد مع غير المسلمين، التي وضع أساسها رسول الله ﷺ، استقر الأمن في الجزيرة العربية، وعمَّ السلام بين المسلمين، وغير المسلمين، لأنَّ القاعدة الموضوعة صارت أساساً انتهجه خلفاء رسول الله ﷺ من بعده، فالخليفة أبو بكر الصديق ﷺ "١١-١٣هـ/٦٣٢-٦٣٤م "يوصي جند الإسلام في بداية الفتوحات الإسلامية، بأهل الذمة، وألا يعتدوا عليهم[٨٩] ثم

يأتي زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ"١٣-٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤م" ليضرب أروع الأمثلة في هذا الصدد، عند عقد معاهدة مع النصارى في إيلياء – القدس – تضمن لهم الحرية الدينية الصريحة دون إجبار أو ظلم(٩٠).

وهذه النقطة أعني هذه المعاهدة، وما كان عليه خلفاء الرسول في هذا الشأن، تبين أنّ الأصل في الإسلام هو السلم العام، وأنّ الحرب لا تمثل القاعدة في الإسلام، بل إنّ المسلمين لا يلجأون إلى الحرب إلا باختيار غيرهم، فهم لا يبغون إلا العمل على نشر الإسلام وتعاليمه بالطريقة السلمية، فكان المسلمون يخيرون أهل البلاد بين الإسلام، أو أن يتعاهدوا معهم على العيش معاً في سلام، حتى يجد الدين الفرصة، ليطلع الناس على أوامره ونهيه، دون إكراه، ولا يلجأ المسلمون إلى الحرب إلا إذا كانوا مضطرين لذلك، وجمهور الفقهاء على أنّ الباعث على القتال هو رد الاعتداء على المسلمين، ذلك لأنّ الدعوة إلى السلم في القرآن مطلقة غير مقيدة، بينما إباحة القتال نجدها في كل نصوص القرآن مقيدة بأنها مقابلة الاعتداء بمثله، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ (٩١) – ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٩٢) ويقول عز من قائل: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (٩٣).

فهذه النصوص كلها تدعو إلى السلام دعوة مطلقة غير مقيدة، وهي تدل على أنّ كل من يلتزم السلم لا يقاتل، والأصل في العلاقات في الإسلام بين الجماعات يقوم على: التواد، والتراحم، والتعاون، وما فرض القتال على المؤمنين إلا لكونه ضرورة ملزمة تقدر بقدر الضرورة، فلا يراد القتال لذاته، فما جاء الإذن بالقتال إلا لرد الاعتداء على الحرية الدينية، ومنع الفتنة(٩٤).

وإذا فرضت الحرب على المسلمين، فإنّ لها آداباً يجب أن تحترم، فلا يجوز التمثيل بالقتلى، ولا يقتل إلا من قاتل، وعدم حرق الشجر، وعدم التعرض للمسالمين، ولا للنساء والأطفال ولاالشيوخ،فهذه آداب حرص عليها المسلمون في حروبهم(٩٥)، ووفاء قادة الإسلام بعهودهم في أوقات الحرب خير شاهد في هذا السياق(٩٦)، فعندما اشتدت وطأة الروم على جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح في الشام، لوقعة اليرموك، ردَّ المسلمون على أهل حمص ماكانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا: شُغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم، فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم(٩٧). وكان أبو عبيدة قد كتب معهم كتاباً لحمايتهم، وحماية كنائسهم ودور عبادتهم وما تحت أيديهم، فلما أحس بخطورة الموقف من الروم، ردَّ عليهم ما أخذه منهم قائلاً لهم: ولنحن لكم على العهد، لكنهم رفضوا، وساعدوا المسلمين حتى كتب الله لهم النصر(٩٨).

والنماذج في التاريخ الإسلامي التي تؤكد على الوفاء بالعهد، واحترام حقوق وواجبات رعايا المسلمين، وحقوق وواجبات المسلمين أنفسهم كثيرة، وفيها الدلالة على صدق المسلمين ووفائهم بعهدهم في كل ماالتزموا به.

فالأساس الذي وضعه لهم النبي ﷺ في هذا الشأن ماثلٌ أمامهم ، إضافة إلى ذلك؛ سمع المسلمون رسول الله ﷺ وهو ينتصف من نفسه،فهو القدوة والمثل الأعلى ، فقد ورد عنه ﷺ في هذا الصدد أنه قال: «إنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، وإنما أنا بشر، فأيما رجل قد أصبت من عرضه شيئاً فهذا عرضي فليقتص، وأيما رجل كنت أصبت من بشره شيئاً فهذا بشري فليقتص، وأيما رجل كنت أصبت من ماله شيئاً، فهذا مالي فليأخذ، واعلموا أن أولاكم بي رجل كان له من ذلك شيء فأخذه أو حللني، فلقيت ربي وأنا محلل لي، ولا يقولن رجل إني أخاف العداوة والشحناء من رسول الله، فإنهما ليستا من طبيعتي، ولا من خلقي»[٩٩].

بمثل هذا المنهج تحقق السلام، وبمثل هذه العدالة ساد الإسلام الدنيا، وعلى هذا الدرب سار أصحاب رسول الله ﷺ، فدانت لهم الدنيا، وتحقق السلام للإنسانية في أوضح صورة، فكما سبق أن ذكرنا إنّ الإسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية، لكون هذه القيم والضوابط مرتبطة بوحي السماء، وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الأفراد، ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات، فإذا قلنا إنّ الحضارة لابد أن تقترن بنمط معين من الحياة، فإنّ الإسلام عاون، بقيمه وضوابطه، على أن يعطى حياة أهله وحضارتهم بعض مميزات ذلك النمط المشترك، بل إنّ الإسلام امتاز بأن أعطى نظاماً متكاملاً للحياة، سواء من وجهة نظر الفرد، أم وجهة نظر الجماعة، وهذا النظام شمل علاقات الأفراد، وكثيراً من نواحي الحكم ذاته، وقد يكون من أبرز القيم التي استند إليها نظام الحياة الإسلامية فكرة القيمة الذاتية للإنسان الفرد، واستنادها إلى فكرة المسئولية الفردية في نطاق الحرية، ثم فكرة الإخاء العام التي تجعل المسلم في أي قطر يشعر بأنه ينتمي إلى جماعة المسلمين على أساس من المساواة، والتي كانت من وراء «حس المشاركة» الذي تستشعره جماعة المسلمين على اختلاف اللغة أو الجنس، أو حتى الولاء الوطني أو السياسي، وقد يوجد مثل هذا الحس المشترك بين جماعات من أهل الأديان الأخرى، ولكنه لا يبلغ قوة «حس المشاركة» بين المسلمين. ثم فكرة العدل الذي ينبع من قاعدة المساواة بين الأفراد– وقد ذكرنا نماذج لذلك في ثنايا البحث– ويجيز التفاوت بينهم على أساس العمل،وفضائل الأعمال المتمثلة في التقوى، وهذه قاعدة تشعر المسلم بروح الإنصاف، وهي أساس تماسك البنية الاجتماعية التي أرسى دعائمها الإسلام، وقد رأينا سماحة الإسلام مع غير المسلمين، ومعاهداتهم والوفاء بها، مع عدم التمييز على أساس من العنصر أو الدين أو المال، وذلك جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً – على مر العصور وحتى الآن – على أساس من التكافؤ والاندماج، ومهد لأن يكون نظام الحياة والحضارة في الإسلام نظاماً جامعاً رحباً، راسخاً في معاييره، التي لا يغيرها الزمن ولا تشكلها الظروف[١٠٠].

ونخلص من خلال ماسبق إلى النتائج التالية:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١- قدرة الإسلام على تحقيق السلام العادل، بمعناه الحقيقي بين مختلف الأمم والشعوب.

٢- أنَّ العدل القائم على الحق أساس تحقيق السلام، وهو ما حققه الإسلام في تاريخه المجيد-نظرياً وعملياً-

٣- المساواة أمام القانون للجميع إحدى الركائز الرئيسة، لتحقيق السلام الخاص والعام، فالكل أمام القانون سواء.

٤- إنَّ حرية وحقوق الإنسان عايشها المسلمون، ومن دخل في عهدهم من أهل الأديان الأخرى فترات طويلة من تاريخ الإسلام، مع حرص ولاة الأمر على تحقيق هذه المبادئ والقيم.

٥- أنَّ الإسلام سبق كافة الأمم، وحتى الأمم المعاصرة، في ميدان احترام الإنسان وحقوقه، في صراحة ووضوح، فلم تكن شعارات مرفوعة، لظروف معينة، بل كانت واقعاً معاشاً ودستوراً عاماً.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــش

(١) ابن حنبل :أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني(ت٢٤١هـ):المسند، تحقيق:شعيب الأرنؤوط، وآخرين،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م،١٤/١١٠وقد ذكره بلفظ..صالح الأخلاق ح ٨٩٥٢ ، الحاكم النيسابوري:أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه (ت٤٠٥): المستدرك على الصحيحين في الحديث،دار المعرفة،بيروت،(د ط)١٤٠٦ هـ /١٩٨٦م، ٢/٦١٣ "نسخة مصورة عن ط القاهرة، البيهقي:أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت٤٥٨هـ): السنن الكبرى، دار المعرفة،بيروت،(د ط)١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م،١٠/١٩١، ١٩٢ ، الهيثمي:أبو الحسن علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ):كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط الأولى،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م،٣/٢٢٠"ح ٢٧٤٠".

(٢) محمد عبدالواحد أحمد : القيم الإسلامية ،بحث منشور في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية"التوجيه الاجتماعي في الإسلام"مطابع الدجوي،القاهرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ص٣.

(٣) السِّلْمُ والسِّلمُ: الصلح والأمان، والإسلام والسِّلْمُ: الخلوص من الشوائب.
انظر: المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية،القاهرة،ط٣،دت،ج١/ص٤٦٣.

(٤) ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م،ص١٩٦.

(٥) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٠٨.

(٧) سورة الأنعام: آية ١٢٧.

(٨) سورة الحشر: آية ٢٣.

(٩) قال العراقي:أخرجه الخرائطي في "مكارم الأخلاق"،وفيه ضعف،وهو من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ.انظر:أبا الفضل عبد الرحيم بن الحسين(ت٨٠٦هـ):المُغني عن حمل الأسفار،تحقيق:أشرف عبد المقصود،مكتبة طبرية،الرياض،ط الأولى،١٤١٥هـ/١٩٩٥م،٢/٢٠٠.

(١٠) الهيثمي :كشف الأستار،٢/٢٢٩. "ح ١٨٩٦"من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ

(١١) انظر ،الغزالي: أبا حامد محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ):إحياء علوم الدين ،تقديم:بدوي طبانة،دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،(د ط)(د ت) ٢/٢١٤.

(١٢) سورة التوبة: آية ١١٩.

(١٣) سورة النساء: آية ٥٨.

(١٤) سورة المائدة: آية ٢.

(١٥) الإسلام هو الدين الوحيد الذي أنشأ لوناً من الحضارة عُرِف باسمه وهو: الحضارة الإسلامية على حين أن غيره من الديانات السماوية لم يبلغ هذه الدرجة، ولا هذا المستوى من الأثر الإنساني والتاريخي، فاليهودية مثلاً لم تنشأ عنها حضارة يهودية بالمفهوم الحديث للكلمة، وكذلك المسيحية لم تنشأ عنها أو تصاحبها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حضارة مسيحية ذات طابع مميز أو موحد، وكذلك المذاهب غير السماوية لم تقم لأي منها حضارة خاصة مميزة، وإن كان بعضها قد علق بحضارات أقدم منه أو معاصرة له.

انظر: سليمان حزين: مقومات الحضارة الإسلامية ،بحث منشور في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية،"التوجيه الاجتماعي في الإسلام"،مطابع الدجوي،القاهرة،١٣٩١هـ/١٩٧١م،ص ١٧.

(١٦) انظر نصوص بعض المعاهدات الواردة في هذا الشأن من خلال هذا البحث ص١٣، ١٤، ١٦.

(١٧) جابر قميحة : المدخل إلى القيم الإسلامية ،بحث منشور في المؤتمر الذي عُقد في القاهرة بمناسبة حلول القرن الخامس عشر للهجرة بعنوان:دراسات في الحضارة الإسلامية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ص ٦٨.

(١٨) سورة القصص : آية ٧٧.

(١٩) سورة الكافرون : آية ٦.

(٢٠) سيد قطب : السلام العالمي والإسلام ،دار الشروق،القاهرة،ط١٥، ٢٠١٠م،ص ١٠٥.

(٢١) جوستاف لوبون : حضارة العرب ،ترجمة:محمد عادل زعيتر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،(د ط)(د ت)ص ٤٣٠.

(٢٢) المقصود بالحروب الصليبية: الحروب التي دارت رحاها في بلاد الشرق الإسلامي، عقب صرخة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كلير مونت سنة ١٠٩٥م، وتُعدُّ تلك الحروب من أكبر وأطول المواجهات العسكرية بين الغرب الأوروبي والمسلمين، فقد استمرت هذه الحروب مايقرب من قرنين في الفترة من ٤٨٨ : ٦٩٠هـ/١٠٩٥ : ١٢٩١م، ومع أن المدى الزمني لهذه الحروب غير محدد على وجه الدقة، إلا أنّ الفترة الزمنية المحددة، لا تعني سوى الدور الحاسم والنشط لهذه الحروب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انظر: سعيد عاشور : الحركة الصليبية "صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى"،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،ط٦، ٢٠٠٢م،ج١/ص٢٥. ، حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ،دار الفكر العربي،القاهرة،(د ط)١٩٨٥م،ص ٥.

(٢٣) لوثر ستودارد : حاضر العالم الإسلامي،ترجمة:عجاج نويهض،وتعليقات الأمير شكيب أرسلان،القاهرة،(د ط)١٣٥٢هـ،ص٣٤.

(٢٤) انظر: سير توماس آرنولد : الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة:حسن إبراهيم حسن،وآخرين،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢٠٠٦،٤م،ص ٧٠، ٧٥-٨٢ وغيرها.

(٢٥) المذهب المكيافيللي: مذهب سياسي ظهر في أوروبا الغربية، صاحبه الإيطالي مكيافيللي"ت ١٥٢٧م" الذي يرى أنّ الحاكم لابد أن يكون طاغية ومستبداً،ولا يمكن أن يكون غير ذلك إذا أراد أن يُحقق أهدافه،فلا يقيم وزناً لعهد قطعه على نفسه،أو وعداً التزم به،إذا كان الوفاء بالعهد يُعرضه للخطر،فالناس أشرار مناكيد لا يحترمون العهد،وهو-أي الحاكم – في حل من أن يتمسك بعهد أو وعد،والغاية تبرر الوسيلة القذرة أو مجموعة الوسائل القذرة التي يلجأ إليها الحاكم للمحافظة على كيان الدولة،فالقوانين الخلقية وضعت لتقوم على ضوئها العلاقات بين الأفراد فحسب،أما السياسة فلا مكان فيها للأخلاق ، ويجوز لمن يريد إنشاء دولة قوية وتدعيمها أن يلجأ إلى الرذيلة والخداع والبطش والقسوة،وجميع الجرائم،ويرى

مكيافيللي أنّ الحاكم لاحرج عليه في أن يأثم في حق الدين والفضيلة الإنسانية ،فضلاً عن ذلك استخدم عبارات تنطوي على احتقار البشر،وسوء الظن بالإنسان ،وضمّن مكيافيللي هذه الآراء في كتابه"الأمير".
انظر: عبد العزيز محمد الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ،١دار المعارف،القاهرة،ط الأولى،١٣٩٣هـ/١٩٦٩م،ص٥٤: ٥٨.

(٢٦) انظر: مختار القاضي : أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،القاهرة،(د ط)(د ت)ص ٥، ٦.

(٢٧) انظر:محمد عبد الله دراز: مبادىء القانون الدولي العام في الإسلام،مطبعة الأزهر(د ط)١٩٥٢م،ص ٢

(٢٨) انظر:محمد رأفت عثمان:الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام،دار الضياء،القاهرة،(د ط)(د ت) ص ٣٦، ٣٧

(٢٩) انظر:محمد عبد الله دراز: مبادىء القانون الدولي..،ص٢

(٣٠) محمد رأفت عثمان: الحقوق والواجبات...،ص٣٩

(٣١) ناجي معرو ف، أصالة الحضارة العربية، ص ١٩٧.

(٣٢) سورة التين : آية ٤..

(٣٣) سورة الإسراء : آية ٧٠.

(٣٤) سورة البقرة: آية ٢١.

(٣٥) سورة النساء :آية ١٧٤.

(٣٦) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام ،بحث منشور في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية"التوجيه الاجتماعي في الإسلام"،مطابع الدجوي،القاهرة،١٣٩١هـ/١٩٧١،ص ٢٢.

(٣٧) هذا الحديث جزء من خطبة النبيﷺ في حجة الوداع، وأخرجه الإمام أحمد في "المسند"ج٣٨/ص١٢٠"ح"٢٣٤٨٩من طريق أبي نضرة،وقال الهيثمي :رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح انظر:الهيثمي:أبا الحسن علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ):مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،دار الكتب العلمية،بيروت،(د ط)(د ت)"نسخة مصورة عن ط القاهرة،ج٣/ص٢٦٦ .

(٣٨) البخاري:أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي(ت٢٥٦هـ):الجامع الصحيح"صحيح البخاري"دار إحياء الكتب العربية،القاهرة،(د ط)(د ت) " باب الحدود "،ج٣/ص١٢٠،"ح ٣٤٧٥، "٤٣٠٤وفيه"أتكلمني في حد....،و٦٧٨٨،مسلم بن الحجاج القشيري(ت٢٦١هـ) الجامع الصحيح"صحيح مسلم"، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر،بيروت،ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،ج٣/ص٢٠٠" ح١٦٨٨"،من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣٩) أبو يوسف القاضي:يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت١٨٢هـ): الخراج ،دار المعرفة،بيروت،(د ط)(د ت) ،ص٨٢،وأخرجه البخاري في: الجامع الصحيح ،ج٣/٣٠٠"ح٢٥٩٧، ٦٩٧٩، ٧١٧٤، ٧١٩٧"، ومسلم في :الجامع الصحيح،٣/٢٣٣" ح ١٨٣٢" من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

(٤٠) البلاذري:أحمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ):فتوح البلدان ،تحقيق:صلاح الدين المنجد،النهضة المصرية،القاهرة،(د ط)(د ت)ج ١/ص٢٥٧.

(٤١) ابن قتيبة الدينوري :أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦هـ): عيون الأخبار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،(د ط)١٩٧٣م،ج ١/ص٥٣ ، والجدير بالذكر في هذه المسألة أن الإسلام لم يحجر على الملكيات الفردية والخاصة، ليلبي في النفس ميلها الفطري العميق إلى التملك، ولكن الإسلام وضع الحدود المنظمة لهذا الحق، بحيث لا يؤذي أحداً في معاش، وأن يكون سبيل ذلك طهارة العمل، وعدم إجحاف حقوق الآخرين.انظر:محمد أبو زهرة:المجتمع الإنساني في ظل الإسلام،ص٢٩

(٤٢) سورة النساء:آية١

(٤٣) سورة الحجرات : آية ١٣.

(٤٤) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني ...،ص ٢٤.

(٤٥) سورة البقرة : آية ٢٥٦.

(٤٦) انظر: محمد أبوزهرة ،المجتمع الإنساني...،ص ٤٥.

(٤٧) أبو يوسف : الخراج ،ص ١٢٥ ، والحديث أخرجه"أبو داود":سليمان بن الأشعث السجستاني(ت٢٧٥هـ):السنن،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الكتب العلمية،بيروت،(د ط)(د ت)ج٣/ص٩٥، "ح٣٠٥٢"،و"البيهقي":السنن الكبرى،ج٩/ص٢٠٥.

(٤٨) أبو يوسف : الخراج ،ص ١٢٥.

(٤٩) وذلك من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الذي يتجلى في تحقيق مصالح العباد ورفع الأذى والفساد عنهم والمصالح التي يقررها الإسلام أساساً للتشريع، وتشتمل عليها الشريعة في نصوصها وكلياتها ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور هي: المحافظة على النفس، والدين، والنسل، والعقل، والمال.
انظر: أبو زهرة : المجتمع الإنساني ...،ص ٣٤ ، محمد عقله: الإسلام مقاصده وخصائصه ،مكتبة الرسالة،عمان،ط الأولى،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م،ص١٠٦، وما بعدها.

(٥٠) عن معاني الحق في معاجم اللغة انظر: ابن منظور :أبا الفضل محمد بن مكرم(ت٧١١هـ): لسان العرب ، «مادة حق»تحقيق: محمد الحسيني:المطبعة الأميرية،القاهرة،١٣٠٨هـ/١٨٩٠م،ج ١١/ص٣٣٢ ، الفيروزابادي:مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي(ت٨١٧هـ) : القاموس المحيط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،(د ط)،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ٣/ ٢١٤"نسخة مصورة عن ط القاهرة" ، الزبيدي:أبا الفيض محمد بن محمد المرتضى(ت١٢٠٥هـ):تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق:عبد العليم الطحاوي، مصطفى حجازي، وزارة الإرشاد، الكويت، ط الأولى، ١٩٦٨م، ١٩٨٧، ج٤/ ص١١٣، ج٢٥/ص١٦٦، ١٦٧.

(٥١) القرافي:أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن (ت٦٨٤هـ):الفروق ،تونس،(د ط)١٣٠٢ هـ،ج١/ص١٧٩.

(٥٢) محمد رأفت عثمان : الحقوق والواجبات...،ص ١٢ ، وقد ذكر تعليقات العلامة قاسم الأنصاري على تعريف القرافي للحق، ورد عليه في ذلك.

(٥٣) الشاطبي:إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي(ت ٧٩٠هـ):الموافقات في أصول الأحكام،تعليق:عبد الله دراز،وابنه:محمد عبد الله دراز،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة،(د ط)(د ت) ،ج٢/ص٢٧٠، ٢٧١.

(٥٤) ذكر محمد رأفت عثمان نقلاً عن عيسوي أحمد في: المدخل للفقه الإسلامي أنّ من يعبر عن الحق بالمصلحة يريد بها الأعم من المصلحة المادية، فالمصلحة عنده شاملة للمصلحة المادية كحق التملك، وللمصلحة المعنوية كحق حرية الرأي، وللمصلحة الاعتبارية الشرعية وهي التي ليس لها وجود إلا بإيجاب الشارع الحكيم كحق الطلاق وحق الحضانة.انظر:الحقوق والواجبات...،ص١٠

(٥٥) انظر:محمد رأفت عثمان: المرجع السابق،ص ١٤.

(٥٦) انظر: محمد رأفت عثمان :المرجع السابق، ص١٥.

(٥٧) عن معنى الواجب وما قيل فيه انظر: ابن منظور : لسان العرب ، «مادة وجب» ،ج ٢/ص٢٩٢ ، الفيروزابادي: القاموس المحيط ،ج١/ص١٣٥ ، الزبيدي : تاج العروس ، ج٤/ص٣٣٣.

(٥٨) انظر: محمد رأفت عثمان: الحقوق والواجبات ،ص ١٦.

(٥٩) الأصل في هذه القاعدة قول النبي ﷺ «لا ضرر ولا ضرار» ومعناه: لا يجوز للمرء أن يضر أخاه ابتداءً، ولا جزاء، والضرار معناه: مقابلة الضرر بضرر، انظر: محمد عقلة : الإسلام مقاصده وخصائصه ، ٢٤،والحديث أخرجه "ابن ماجه":أبو عبد الله محمد بن يزيد(ت٢٧٥هـ): السنن،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،المكتبة العلمية،بيروت،(د ط)(د ت)"نسخة مصورة عن ط البابي الحلبي،القاهرة"ج٣/ص١٥٩،" ح٢٣٤١" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيﷺ،وأخرجه "الحاكم" في: المستدرك ،ج٢/ص٦٦،و"البيهقي" في :السنن الكبرى،ج٩/ص٦٩ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي

(٦٠) ورد في مصنف أبي داود عن سمرة بن جندب: أنه كان له نخل في حائط رجل من الأنصار، ومع الرجل أهله، فكان سمرة بن جندب يدخل إلى النخل، فيتأذى به الرجل، ويشق عليه، فطلب إليه أن يبيعها منه فأبى، فطلب أن يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى، قال فهبها لي ولك كذا وكذا مزرعة فأبى، فقال رسول الله ﷺ: أنت مضار، ثم قال للأنصاري: اذهب فاقلع نخله.

القرطبي:أبو عبد الله محمد بن فرج المالكي(ت٤٩٧هـ) : أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،دار الوعي،حلب،ط١٤٠٢،٢هـ/١٩٨٢م،ص ١١٥، ١١٦.

(٦١) انظر: محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني ، ص١٢٠، ١٢١.

(٦٢) انظر: محمد رأفت عثمان : الحقوق والواجبات ،ص ١٨.

(٦٣) انظر: الشاطبي : الموافقات ،ج٢/ص٢٧٧ وما بعدها.

(٦٤) ذكرنا مبدأ العدالة على سبيل التمثيل، لا الحصر.

(٦٥) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني ،ص ٧٦.

(٦٦) سورة النحل : آية ٩٠.

(٦٧) سورة المائدة : آية ٨.

(٦٨) الحديث أخرجه كذلك"البخاري" في صحيحه"كتاب الإيمان"باب السلام من الإسلام،ورواه بعضهم عن"عمار ابن ياسر رضي الله عنهما عن النبيﷺ ،وقيل إنّ هذا من كلام عمار بن ياسر،وأخرجه البزار في مسنده،كما في كشف الأستار،ح ٣٠،مع اختلاف في ترتيب الأمور الثلاثة المذكورة،وقال البزار:رواه غير

واحد موقوفاً على عمار بن ياسر رضي الله عنهما،والسيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ): الجامع الصغير في حديث البشير النذير،مطبعة الحلبي،القاهرة،(د ط)١٩٥٤م،ج ١/ص١٣٦،المناوي:عبد الرؤوف بن علي(ت١٠٣١هـ):فيض القدير شرح الجامع الصغير،دار المعرفة،بيروت،ط٢، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م،

(٦٩) انظر: محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني ،ص ٧٧.

(٧٠) انظر: محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني ،ص ٥٦.

(٧١) محمد البهي : منهج القرآن في تطوير المجتمع ،دار الفكر،القاهرة،ط الأولى،١٣٩٣هـ،ص ٧٧.

(٧٢) عن المؤاخاة انظر: ابن هشام:أبا محمد عبد الملك بن هشام: ،السيرة النبوية ،تحقيق:مصطفى السقا،وآخرين،مطبعة الحلبي،القاهرة،ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م،ج١/ص٥٠٤، ٥٠٥ ، ابن سعد:محمد بن سعد بن منيع البصري،المعروف بكاتب الواقدي،(ت ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى ،دار صادر،بيروت،(د ط)(د ت)ج٢/ص٤٥، البلاذري:أحمد بن يحي بن جابر(ت٢٧٩هـ): أنساب الأشراف ،تحقيق:محمد حميد الله،دار المعارف،القاهرة،(د ط)١٩٥٩م،ج١/ص٢٧٠.

(٧٣) إبراهيم شعوط، محمود محمد زيادة : الحقبة المثالية في الإسلام ،القاهرة،ط١٣٨٥،٢هـ/١٤٠٥م،ص ٥٩ ، صالح أحمد العلي : دولة الرسول في المدينة"دراسة في تكوينها وتنظيمها"، "سلسلة تاريخ العرب والإسلام"،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت،ط٢٠٠٤،٢م،ص ٩٠.

(٧٤) الطبقات الكبرى ،ج١/ص٢٧٠.

(٧٥) سورة الأنفال : آية ٧٥.

(٧٦) سورة الحجرات : آية ١٠.

(٧٧) إبراهيم شعوط، محمود زيادة: الحقبة المثالية ، ٥٩ ، صالح العلي :دولة الرسول.."مرجع سابق"،ص ٩٤.

(٧٨) يتعاقلون: يدفعون الدية، العاقلة: الدية، وعاقلة الرجل: عصبته وهم الأقارب من جهة الأب الذين يشتركون في دفع ديته . انظر: المعجم الوسيط ،"مرجع سابق،ج٢/ص٦٣٩.

(٧٩) عانيهم: العانى: الأسير أي أسيرهم. انظر: المعجم الوسيط – ٢/٦٥٧.

(٨٠) مُفْرحاً: المُفرَحُ : من أثقله الدين، ولا يجد قضاءه. انظر: المعجم الوسيط :ج٢/ص٧٠٤.

(٨١) عقل: دية. انظر: المعجم الوسيط ، ج٢/ص٦٣٩.

(٨٢) دسيعة: الدسيعة العطية الجزيلة. انظر: المعجم الوسيط ، ج١/ص٢٩٣.

(٨٣) انظر نص الصحيفة عند: ابن هشام – السيرة النبوية ، ج١/ص٥٠١، ٥٠٢ ، أبي عبيدة:القاسم بن سلام الهروي(ت٢٢٤هـ) : الأموال ،تحقيق:محمد حامد الفقي ،المكتبة التجارية الكبرى،القاهرة،(د ط) ١٣٥٣هـ،ص ٢٠٢-٢٠٥ ، وقد جمع محمد حميد الله هذه المعاهدات في كتابه: الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، القاهرة،(د ط)١٩٥٦م،ص١٥.

(٨٤) سورة النساء : آية ٦٥.

(٨٥) عن فتح مكة وما قام به النبي ﷺ من العفو والتسامح انظر: ابن هشام: السيرة النبوية ،ج٢/ص٤٠٩ ، الطبري:أبا جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك"تاريخ الطبري" ،اعتناء:أبي صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية،الأردن،ط الأولى،(د ت) نسخة تامة في مجلد واحد،ص٤٣٢ ، ابن عبدالبر:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يوسف بن عبد البر القرطبي(ت٤٦٣هـ): الدرر في اختصار المغازي والسير،تحقيق:شوقي ضيف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،القاهرة،(د ط) ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ،ص ٢٢٤ ، ابن الأثير:أبا الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني(ت٦٣٠هـ):الكامل في التاريخ،اعتناء:أبي صهيب الكرمي،بيت الأفكار الدولية،الأردن،ط الأولى(د ت)"نسخة تامة في مجلد واحد"،ص ٢٥٤.

(٨٦) عن عام الوفود انظر: ابن هشام : السيرة النبوية ،ج٢/ص٥٦٠ ، اليعقوبي:أحمد بن إسحاق بن جعفر"ابن وضح"(ت٢٨٤هـ) :تاريخ اليعقوبي ،دار صادر،بيروت،(د ط)(د ت)،ج ٢/ص٧٩.

(٨٧) انظر نص الوثيقة عند: أبي يوسف: الخراج ،ص ٧٢، ٧٣ ، ابن هشام : السيرة النبوية ، ٢ج/ص٥٩٦.

(٨٨) انظر: أبا يوسف : الخراج ،ص٧٣.

(٨٩) راجع وصايا أبي بكر الصديق في هذا الشأن عند: الطبري : تاريخ ، ٤٩٤.

(٩٠) ومما جاء فيها: «هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ...» والدلالة واضحة من خلال النص الذي أثبت الأمن والحرية والحماية على النصارى وأموالهم وكنائسهم، وأولادهم. انظر نص عهد الأمان عند: الطبري : تاريخ ، ٦٢٩.

(٩١) سورة البقرة : آية ٢٠٨.

(٩٢) سورة الأنفال : آية ٦١.

(٩٣) سورة النساء : آية ٩٠.

(٩٤) محمد أبو زهرة : المجتمع الانساني.. ، ص٩١، ١١٤.

(٩٥) عن آداب الحرب عند المسلمين راجع وصايا الخلفاء للقادة عند: الطبري : تاريخ ،ص٤٩٤، ٦٢٩ ، محمد رأفت عثمان : الحقوق والواجبات ..،ص ١٩٠ وما بعدها.

(٩٦) عن معاهدات قادة الفتح الإسلامي مع أهالي البلاد المفتوحة. انظر: الطبري، ج٤/ص١٠٩، ١٥٢، ١٥٥، ١٦٢-١٦٣.

(٩٧) فتوح البلدان ، ج١/ص١٦٢.

(٩٨) أبو يوسف : الخراج،ص ١٣٨، ١٣٩ ، البلاذري : فتوح البلدان ،ج١/ص١٦٣.

(٩٩) الحديث أخرجه "الطبراني" سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي(ت٣٦٠هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، وزارة الأوقاف، بغداد، ط٢ ،١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م، ج١٨/ص٢٨٠، والمعجم الأوسط، تحقيق : محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م،١٣ج/ص١٠٤، من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما،عن النبي ﷺ والعقيلي:أبو جعفر محمد بن عمرو(٣٢٢هـ): الضعفاء الكبير،تحقيق:عبد المعطي قلعجي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط الأولى،١٤٠٤هـ،١٩٨٤م،ج٣/ص٤٨٢،وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٩/ ص٢٦:رواه الطبراني ،وأبويعلى بنحوه،وفي إسناد أبي يعلى:عطاء بن مسلم،وقد وثقه ابن حبان،وضعفه غيره،وبقية رجال أبي يعلى ثقات،وفي إسناد الطبراني من لا أعرفهم.

سليمان حزين : مقومات الحضارة الإسلامية ، ص٢٤، ٢٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مصادر البحث ومراجعه

أولاً: المصـــــادر

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن محمد أبي الكرم الجزري الشيباني (ت ٦٣٠هـ).

١- الكامل في التاريخ ، اعتنى بها: أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكـــار الدوليـــة ، الأردن ،ط الأولى، (د.ت) نسخة تامة في مجلد واحد.

البخاري: الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجفعي (ت ٢٥٦هـ).

٢- الجامع الصحيح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (د.ت).

البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

٣- أنساب الأشراف ، ج١ ، تحقيق :محمد حميد الله ، دار المعارف ، القاهرة،(د ط)، ١٩٥٩م.

٤- فتوح البلدان ، تحقيق: صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة (د.ت).

البيهقي:أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي"ت٤٥٨هـ"

٥- السنن الكبرى، دار المعرفة، بيروت،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الحاكم النيسابوري:أبو عبد الله محمدبن عبد الله بن حمدويه"ت٤٠٥هـ"

٦- "المستدرك على الصحيحين في الحديث"، دار المعرفة،بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م"مصورة عـن طبعـة الهند".

ابن حنبل:الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني"ت٢٤١هـ"

٧- "المسند"، تحقيق:شعيب الأرنؤوط ،وآخرين،مؤسسة الرسالة،بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

أبو داود:سليمان بن الأشعث السجستاني"ت٢٧٥هـ"

٨- "السنن"،تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،دار الكتب العلمية،بيروت(د.ت)

الزبيدي: أبو الفيض محمد بن محمد المرتضى (ت ١٢٠٥هـ).

٩- تاج العروس من جواهر القاموس – ج٤ تحقيق: عبدالعليم الطحاوي ، ج٢٥ تحقيق: مصطفى حجـازي، مطبعة حكومة الكويت ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ،ط ١٩٦٨م، ١٩٨٧م.

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع البصري " المعروف بكاتب الواقدي " (ت ٢٣٠هـ).

١٠- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ،(د.ت).

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ).

١١- الجامع الصغير في حديث البشير النذير ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٩٥٤م.

الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ).

١٢- الموافقات في أصول الأحكام ، تعليق: عبدالله دراز، وابنه محمد عبدالله دراز، المكتبة التجاريـة الكـبرى، القاهرة (د.ت).

الطبراني:سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي"ت٣٦٠هـ"

١٣- المعجم الأوسط، تحقيق:محمود الطحان،مكتبة المعارف،الرياض، ط الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

١٤- المعجم الكبير– تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي،وزارة الأوقاف،بغداد، ط٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ).

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٥- تاريخ الرسل والملوك ، اعتناء: أبي صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن،الطبعة الأولى، (د.ت) «نسخة تامة في مجلد واحد».

ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالبر النمري (ت ٤٦٣هـ).

١٦- الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

أبو عبيد: القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ).

١٧- الأموال ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ.

العراقي:الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين "ت٨٠٦هـ"

١٨- "المُغني عن حمل الأسفار"، تحقيق:أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض،ط الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

العقيلي:أبو جعفر محمد بن عمرو"ت٣٢٢هـ"

١٩- "الضعفاء الكبير"تحقيق:عبد المعطي قلعجي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط الأولى١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد"ت٥٠٥هـ"

٢٠- إحياء علوم الدين، تقديم:بدوي طبانة،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة(د ت)

الفيروزابادي:مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي"ت٨١٧هـ"

٢١- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م"نسخة مصورة عن ط بولاق،القاهرة ١٣٠١هـ.

ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ).

٢٢- عيون الأخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م.

القرافي:أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن"ت٦٨٤هـ"

٢٣- الفروق، تونس،١٣٠٢هـ

القرطبي: أبو عبدالله محمد بن فرج المالكي (ت ٤٩٧هـ).

٢٤- أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دار الوعي ، حلب ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ.

ابن ماجه:أبو عبد الله محمد بن يزيد"ت٢٧٥هـ"

٢٥- "السنن"تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،المكتبة العلمية،بيروت، (د ط) (د ت)"نسخة مصورة عن ط البابي الحلبي–القاهرة.

مسلم: الإمام مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ).

٢٦- الجامع الصحيح،تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي،دار الفكر،بيروت،ط١٣٩٨،٢هـ/١٩٧٨م.

المناوي:عبد الرؤوف بن علي"ت١٠٣١هـ"

٢٧- "فيض القدير شرح الجامع الصغير"،دار المعرفة، بيروت، ط٢ ١٣٩١هـ/١٩٧٢م"نسخة مصورة عن ط المكتبة التجارية، القاهرة،١٣٥٦هـ/١٩٣٦م.

ابن منظور:أبو الفضل محمد بن المكرم"ت٧١١هـ"

٢٨- لسان العرب.تحقيق:محمد الحسيني،المطبعة الأميرية،القاهرة،١٣٠٨هـ/١٨٩٠م

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام (ت ٢١٨هـ).
٢٩- السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي – مطبعة الحلبي ، القاهرة ،ط٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
الهيثمي:أبو الحسن علي بن أبي بكر"ت٨٠٧هـ"
٣٠- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة،تحقيق:حبيب الرحمن الأعظمي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط الأولى،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٣١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،دار الكتب العلمية،بيروت(د ط)(د ت)"نسخة مصورة عن ط مكتبة القدسي،القاهرة.
اليعقوبي: أحمد بن إسحاق بن جعفر «ابن واضح» (ت ٢٨٤هـ).
٣٢- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م.
أبو يوسف القاضي: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت ١٨٢هـ).
٣٣- الخراج ، دار المعرفة ، بيروت(د ط)(د ت).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة

إبراهيم شعوط، محمود محمد زيادة.
١-الحقبة المثالية في الإسلام ، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٥هـ.
سير توماس آرنولد.
٢-الدعوة إلى الإسلام.
ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وعبدالمجيد عابدين، واسماعيل النحراوي ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٤ ، ٢٠٠٦م.
جابر قميحة.
٣-المدخل إلى القيم الإسلامية.
بحث منشور في المؤتمر الذي عقد بالقاهرة بمناسبة القرن الخامس الهجري، بعنوان: دراسات في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
جوستاف لوبون.
٤-حضارة العرب.
ترجمة: محمد عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة (د.ت).
حسن حبشي.
٥-الحرب الصليبية الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٥٨م.
سعيد عبدالفتاح عاشور.
٦-الحركة الصليبية «صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى» ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٦ ، ٢٠٠٢م.
سليمان حزين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٧-مقومات الحضارة الإسلامية ، بحث منشور في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية «التوجيه الاجتماعي في الإسلام» ، مطابع الدجوي ، القاهرة ، ١٣٩١هـ.

سيد قطب.

٨-السلام العالمي والإسلام ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١٥ ، ٢٠١٠م.

صالح أحمد العلي.

٩-دولة الرسول في المدينة «دراسة في تكونها وتنظيمها».

سلسلة تاريخ العرب والإسلام ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤م.

عبد العزيز محمد الشناوي.

١٠- أوروبا في مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م

لوثروب ستودارد.

١١- حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة: عجاج نويهض، وتعليقات الأمير: شكيب أرسلان ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ.

محمد البهي.

١٢- منهج القرآن في تطوير المجتمع ، دار الفكر ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٩٣هـ

محمد حميد الله.

١٣- الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشد ، القاهرة ، ١٩٥٦م.

محمد رأفت عثمان.

١٤- الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية في الإسلام، دار الضياء ، القاهرة (د.ت).

محمد أبو زهرة.

١٥- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام.

بحث منشور في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية «التوجيه الاجتماعي في الإسلام» – مطابع الدجوي ، القاهرة ، ج٢ ، ١٣٩١هـ.

محمد عبد الله دراز

١٦- مبادىء القانون الدولي العام في الإسلام،مطبعة الأزهر،القاهرة،١٩٥٢م

محمد عبدالواحد أحمد.

١٧- القيم الإسلامية.

بحث منشور في المؤتمر الذي عقد بالقاهرة ، بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

محمد عقله.

١٨- الإسلام مقاصده وخصائصه ، مكتبة الرسالة ، عمان ، ط الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

مختار القاضي.

١٩- أثر المدينة الإسلامية في الحضارة الغربية ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة (د.ت).

٢٠- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط٣ ، (د.ت).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ناجي معروف.
٢١ - أصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ،بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٥هـ.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملك حفني ناصف "باحثة البادية" ودورها في الحياة الاجتماعية المصرية (١٨٨٦- ١٩١٨)

د. محمد عزيز محمد (*)

إن تاريخ الشخصيات المهمة قديما وحديثا ليس من حق البشرية تجاهله ؛ لأنه جزء من تاريخ البشرية فى المجتمع والعصر الذى عاشت فيه لأن تلك العبقريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية هى ثمرة من ثمار هذا المجتمع إذ ذاك، فلا يجب أن نغفل الظروف المحيطة بالشخصية ؛ إذ أنها تؤثر فى تحديد الشخصية وتشكيلها. ولعل أحد أسباب دراسة شخصية ملك حفنى ناصف " باحثة البادية " هو محاولة توضيح الفكرة التى انطبعت فى أذهان الناس عن غموض موقفها تجاه قضية المرأة وحريتها إلى درجة اتهام البعض بأنها كانت ضد تحرير المراة وأنها كان لها موقف متشدد تجاه المدنية الغربية وبمهاجمة كل ماهو غربى.

والواقع أنه قلما نجد إنسانا ضاعت حسناته مع سيئاته ولم تأخذ أعماله حقها فى الكتابات مثلما حدث لملك حفنى ناصف، وبالرغم مما أحيط بها فإننا لا ننكر أنها كانت إحدى رائدات الحركة النسائية فى مصر والعالم العربى. فلقد أهتمت ملك بقضية المرأة اهتماما كبيرا وبذلت كل الجهود للدفاع عن حقوقها على عكس اتهامات البعض لها فى هذا الشأن. فبعد دراسة واعية واستقراء مستفيض لتاريخ المرأة الطويل، ولمكانة المرأة فى الكتاب والسنة، ونقد وتحليل لكل الآراء التى تناولت هذه القضية،وقفت ملك تدافع عن بنات جنسها واضعة نصب عينيها القرأن والسنة.ولم تكن ملك أمرأة عادية تطالب بحقها فى المجتمع بل أنها رائدة وصاحبة فكر متميز، حيث كان لها القدرة على النقد وقوة الحجة ورؤية سديدة لكل ما تصدت له من قضايا فكرية واجتماعية.

لقد كانت ملك حفنى ناصف مسلمة مؤمنة شديدة التعلق بدينها ومن خلال الدين تكتب وتبحث وهى تستوحيه فى أدبها السياسى والاجتماعى والخلقى وأنها إذ تدعو المرأة الى النهوض وفك القيود فهى تريدها أن تفعل ذلك من خلال فهمها لجوهر الدين. وقد دخلت ملك فى تفاصيل أدق إذ بحثت فى مجال الزينة والأزياء فحددت مايجوز ومالايجوز أرتداؤه كذلك لاتبعد الدين عن السلوك اليومى وعلاقة المرأة بزوجها، لذلك اختلطت لديها العاطفة الدينية بالمعانى القومية والاجتماعية.

(*) مدرس التاريخ الحديث والمعاصر كلية الآداب – جامعة سوهاج.

لقد كانت ملك حفنى ناصف ناقدة، فكانت تنتقد كل ماتجده منافيا لمفهومها وذوقها وأن احتكاكها بجميع شرائح المجتمع وخصوصا النسائية منها، جعلها تتحسس فى العمق المشاكل التى تبقى فى الظل وقلما تطرح للبحث أو تتناولها أقلام الرجال، وهى لاتكتفى بدور الناقدة الواقفة بعيدا عن موضوع نقدها بل تتابع الرسالة وتقترح ماتراه مناسبا للإصلاح وتبديل الأوضاع من خلال قلمها. لقد تركز النقد الاجتماعى لملك على أحوال المرأة فنراها تضع قواعد لسلوك الزوجين كما أنها تعدد أسباب التعاسة الزوجية ووسائل علاجها.

إن ملك حفنى ناصف لم تكن ناقدة فحسب بل إنها كانت مصلحة فهى لم توجه النقد فى سبيل ذاته بل إنها تتوخى من ورائه تغيير الأحوال وإصلاح الأمور. إذا فغايتها صريحة وتحاول أن تكون عادلة فهى لاتتحيز للمرأة ضد الرجل أو العكس بل إنها تقف مع الحقيقة ومع الحالة الفضلى التى تسوق إليها من يخاطبهم وقد وجدت فى الخطابة والكتابة الوسيلة الفضلى لشرح غايتها ورسم الطريق الجديد. فى الواقع أن ملك حاولت أن ترسم معالم الطريق بل أنها سنت شرائع تتألف من عشرة بنود تضم فى مجملها إصلاحات تربوية إذ أنها كانت مؤمنة بأن الأساس الصحيح يكمن فى نواة التربية الصحيحة وتنطلق منه القاعدة التربوية فيما بعد لتحدد أقتراحاتها للإصلاح .

لاعجب بالتالى عندما اتجهت ملك حفنى ناصف بأفكارها هذه، داعية الى الإصلاح وتحسين أوضاع المرأة والعائلة. وعلى الرغم مما قيل عنها فى هذا الشأن فقد كانت الأجواء معدة بفضل مصلح رائد مهد للنهضة بكتابه الجرئ " تحرير المرأة " ثم أمسك بيدها ووقف فى صفها فينصرها وهو يتطلع الى الغد ويتأمل صورة المجتمع الجديد الذى يدين له بالكثير إنه " قاسم أمين " ذلك الرجل الذى كان سباقا فى كل ماقال وكل ماكتب.وتلتقى معه باحثة البادية فى الكثير من أفكارها وآرائها خصوصا بوجوب إصلاح المرأة وفتح أبواب التعليم أمامها وجعل التربية متوفرة لها كما يتفق المصلحان الرائدان فى أرائهما حول تحسين شئون العائلة والأحوال الزوجية.

فى هذا الجو وتلك الظروف نشأت ملك حفنى ناصف متأثرة بظروف العصر الذى عاشت فيه وأحواله لتؤثر فى ذلك المجتمع بأفكارها ومبادئها التى اتسمت بالعقل والرزانة بما يتفق مع ظروف ذلك المجتمع وطبيعته.

المولد والنشأة :

ولدت ملك حفنى ناصف(١) بحى الجمالية بالقاهرة فى ٢٥ ديسمبر عام ١٨٨٦م.(٢) وملك هى ابنة الأديب والعالم اللغوى حفنى بك ناصف، يقال إن ولادة ملك صادفت يوم زواج الأمير حسين كامل (٣). وكانت عروسه تدعى الأميرة ملك، لذلك سميت ملك بهذا الأسم الذى شاع فى ذلك الحين (٤).

كان حفنى ناصف (١٨٥٥ – ١٩١٩م) أديباً وشاعراً تتلمذ على يد جمال الدين الأفغانى وصاحب الشيخ محمد عبده (٥) وقاسم أمين. وكان حفنى ناصف من محررى **صحيفة الوقائع المصرية**، كما كان يكتب فى الأهرام واللطائف والجوانب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصرية وغيرها من صحف هذا الزمان. وقد اشتغل حفنى ناصف بالقضايا الوطنية والاجتماعية، بجانب تخصصه الأساسى فى علوم اللغة وكان حفنى ناصف أستاذاً لجيل من المفكرين البارزين. وقد تخرج من مدرسة الأزهر، وعمل مدرساً فى مدرسة العميان والخرس، ثم انتدب للتدريس فى مدرسة الحقوق، ثم عين قاضياً، ثم مفتشاً للتعليم، وشارك فى تأسيس الكثير من الهيئات العلمية، وكان حفنى ناصف من مؤسسى الجامعة المصرية.وهوجزء من النخبة الفكرية التى حركت الحياة الاجتماعية فى أواخر القرن التاسع عشر، ودعت إلى الإصلاح، كان حفنى ناصف من المهتمين البارزين بقضايا المرأة كمدخل رئيسى للإصلاح، الأمر الذى نلمسه فى حياته الشخصية وعلاقاته بأبنائه وبناته، كما نلمسه فى حياته العامة. ففى خطبة له فى مدرسة للبنات قال " إن الله تعالى لما أوجد العالم جعل من كل شيء زوجين اثنين، وأوجد من كل نوع شكلين ليتم بذلك كمال الإبداع، ويحصل ما أراده الله سبحانه وتعالى من بقاء تلك الأنواع. والشريعة المقدسة إذ حثت على الاعتناء بشأن النساء، إلا أننا نرى أكثر الشرقيين متساهلين فى أمرهن صفحاً عن تربيتهن وتهذيبهن ويقول " الإنسان يتربى فى ثلاث من المدارس متتاليات مدرسة الأمهات، مدارس الفنون والمهن ثم مدرسة الزمان، وأسس هذه المدارس مدرسة الأمهات.، فينبغى تهذيبهن ليترشح الأبناء إلى إصلاح المعاش والمعاد وينهجوا من أول أمرهم مناهج الرشاد، وهذا هو سبب تأخر أبنائنا الشرقيين وتقدم أمثالهم من الغربيين." أما أم ملك فهى سنية عبد الكريم جلال (١٨٦٩-١٩٤٢م) وكانت حسب رواية ابنتها كوكب متعلمة، ليس تعليماً رسمياً لكنها تلقت فى بيتها ككثير من فتيات هذا العهد اللاتى كن يتعلمن القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على أيدى معلمات فى المنازل. وكانت ملك هى الأخت الكبرى لسبع من البنات والبنين، البنات هن - بعد ملك - حنيفة (١٨٩٨-١٩٧٣م) وكوكب (١٩٠٥-١٩٦٥) والأولاد هم جلال الدين(١٨٨٩-١٩٦٠م) ومجد الدين(١٨٩١ - ١٩٧٨م) وعصام الدين (١٩٠٠-١٩٧٠م) وصلاح الدين(١٩٠٢-١٩٧٧م). وقد عمل جلال الدين محامياً ثم قاضياً، وكان مجد الدين أستاذاً بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، وعمل فى المجلس الأعلى للآداب والفنون، وعملت حنيفة بالتدريس وتدرجت فى الوظائف إلى أن أصبحت مفتشة فى وزارة التعليم، ودرس عصام الدين الزراعة فى المانيا وعمل مدرساً وله مؤلفات عن تاريخ الأديان، وعمل صلاح الدين وكيلاً لوزارة الصحة. وسافرت كوكب عام ١٩٢٢م فى أول بعثة للبنات لدراسة الطب فى إنجلترا وعادت بعد عشر سنوات وأصبحت مديرة لإحدى المستشفيات (٦).

وهكذا نجد أن ملك حفنى ناصف قد نشأت فى منزل لها فيه - غير أبيها وأمها - ستة من الإخوة بينهم أختان كلهم يصغرونها، وكانت أمهم مريضة معتزلة، أغلب الوقت وأبوهم دائب العمل، فأحست ملك نحوهم جميعاً بمسئولية كبيرة ومبكرة. فلم تكن ملك فحسب أختاً كبرى لأشقائها الستة، بل كانت واقعياً وفى ظل مرض الأم واعتزالها

وانشغال الأب الدائم كما يقول شقيقها مجد الدين تمارس دور الأم لأشقائها الذين كانت ملك تكبرهم بما يتراوح بين ثلاث سنوات لأكبرهم وتسعة عشر عاماً لأصغرهم (٧).

من ناحية أخرى فقد أثر وجود ملك فى هذا المنزل المؤمن بقضية العلم بشكل أصيل على طبيعة فكرها وعلى موقفها من الحياة، حيث كانت الفتيات فى بيت حفنى ناصف على قدم المساواة مع أشقائهم من الذكور فى سلوك شتى مسالك المعرفة، وهو موقف لم يتخذه الأب نتيجة للتأثر بأفكار مستوردة، بقدر ما اتـخذه لكونه فى ذاته رجل علم، مؤمنا بالإصلاح القائم على أحترام الذات والأصول. من هنا سنلمس فيما بعد، كيف كان الموقف الفكرى لملك حفنى ناصف فى التعامل مع الغرب موقف يتميز بقدر كبير من الثقة بالذات والانفتاح والحوار البعيد عن الذوبان فى الآخر. ومن هنا أثر ذلك على تعليمها. فبدأت ملك تعليمها فى المرحلة الابتدائية فى المدرسة السنية(٨). وكان التعليم فيها فى كل المواد باللغة الفرنسية.وكانت ملك حفنى ناصف من خريجات الدفعة الأولى، وحصلت على الشهادة الابتدائية من تلك المدرسة عام ١٩٠٠ م(٩). ثم التحقت ملك بعد ذلك بقسم المعلمات السنية، الذى تحول التعليم فيه جميعاً إلى اللغة الإنجليزية. وتفوقت ملك فى هذه المرحلة الدراسية لتحصل فى نهايتها على شهادة الدبلوم من المعلمات السنية عام ١٩٠٣م(١٠). وقد تسلمت ملك هذه الشهادة عام ١٩٠٥، حيث إن نظام وزارة المعارف العمومية آنذاك " التربية والتعليم حاليا " كان ينص على أن لايتسلم شهادة الدبلوم هذه إلا من أمضى فى التمرين على التدريس سنتين كاملتين، لتعمل ملك فى ذات المدرسة فى نفس العام، وهى لم تتعد التاسعة عشر من عمرها.(١١)

كان من المدرسين الذين تلقت ملك تعليمها على يديهم، وذاع صيتهم بعد ذلـك، "حسن صبرى" الذى أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد، والشيخ " أحمـد إبـراهيم " الـذى أصبح فيما بعد أستاذاً للشريعة بكلية الحقوق، ومن الأجانب كانت مس كـارتر، عميـد مفتشات اللغة الإنجليزية فيما بعد. ولقد درست ملك وتعلمت اللغات الثلاث (العربيـة – الانجليزية – الفرنسية). وكانت تستعين فى دراساتها العربية بوالدها حفنـى ناصـف، وفى دراساتها الإنجليزية بأديبة إنجليزية من سيدات التربية تدعى مس جونسون، أمـا دراساتها الفرنسية فقد استعانت ملك بسيدة فرنسية تزوجت بمحام انجليزى فى المحاكم المختلطة بالقاهرة، عرفت بمسز ديفونشير.وكانت ملك فى مراحل تعليمهـا لكـل تلـك اللغات الثلاث تقتنى أمهات الكتب وأكثرها ثراء لتقوم بقراءتها وتفحصها حتى تتقن تلك اللغات.(١٢)

بدأت ملك جهادها المبكر فى بيت أبيها الصغير، وكانت تكرس أجازتها الصيفية لإعادة تنظيم البيت والقيام بكل ما يلزمه من حياكة وترتيب حتى تـوفر علـى أبيهـا، وكذلك إكمال ما ينقص من أدوات وإعداد ملابس العام لوالديها وإخواتها ومن يعملـون بالمنزل. كانت ملك تعلم إخواتها دون أن تشعرهم فتلقى عليهم فى شكل حكايات ما كـان يدور حولها فى المدرسة وما تصيبه من ألوان المعرفة، وتناولهم الكتب ليراجعوا عليها

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما حفظته منها، ثم تحاول أن تثير بينهم المنافسة فيمن يحفظ الشعر منهم أو تنظيمه فوسعت مداركهم. وكانت إذا غابت دائمة الاتصال بهم عن طريق المراسلة والتليفون فيما بعد، فكانت ملك لبيت أبيها ولأخواتها خير صديق وخير معين، وكانوا يحبونها كصديقة، فكان أصحابهم يرونهم يبكون طويلا، عقب فراقها ويتهللون لحضورها. وكان من أحسن صفات ملك الحنان، فإنها كانت تحب والدها لدرجة التضحية، فكان إذا مرض مرضت له وإذا سافر قامت مقامه.(١٣) هذا الدور الرعوى، كانت ملك تمارسه فى دوائر أوسع من أسرتها ومن أجل إصرار ملك في القضاء على العادات والتقاليد الجامدة التى حرمت البنات من التعليم، كانت ملك تزور بيوت أصحابها ومعارفها، وما تزال بهن حتى ترسلن بناتهن إلى المدرسة السنية، على أن ترعى ملك أولئك الصغيرات رعاية خاصة. وبذلك دخل هذه المدرسة فى عهد ملك كثيرات ممن كانوا أهلهن يبقيهن فى البيت، أو يؤثرن إرسالهن إلى المدارس الأجنبية، التى كانت إذ ذاك لا تلقن التلميذات شيئاً من لغة البلاد أو تاريخها أو قوميتها أو دينها فينشأن نشأة أجنبية بحتة.

كان تعليم البنات فى عهدها موضع التعيير الجائرمن السواد الأعظم من الناس، إلا أن ملك كانت تقرأ عن مشاهير النساء فى الإسلام، وكذلك فى المراجع التى كانت تطلبها من أبيها، للاستزاده من دروس هذه البطولات مع البطولات النسائية المماثلة فى الأدب الغربى، فشعرت ملك أن عليها أن تعد نفسها لرسالة جليلة، وهى محاربة العادات والتقاليدالظالمة التى تحط من شأن المرأة، وأن تقيم بالعلم والإصلاح منارة للمرأة المصرية والعربية المسلمة لتنفض عنها غبار الجهل والتخلف(١٤).

وعندما نجحت ملك فى الشهادات الدراسية، عملت فى القسم العالى الذى تخرجت فيه، ونظمت فى صغرها شعراً نشرته الجرائد، لتشجع الآباء. فلقد كان لشخصيتها العطوفة التى ميزتها كأم ومعلمة بين أخواتها وبين تلميذاتها، أثره فى أن تكتسب ملك يوماً بعد يوم مزيداً من الحب والثقة، حتى أن أرتباط بعض التلميذات بالمدرسة كان كأنه أرتباط بها نفسها للدرجة التى دفعت بعضاً من الطالبات بلغ عددهن نحو ٧٥ "خمس وسبعين " طالبة، إلى ترك المدرسة عندما تركتها ملك عقب زواجها عام ١٩٠٧م من عبدالستار الباسل الذى رفض استمرارها فى العمل وأن ترحل معه إلى الفيوم(١٥).

وعندما تزوجت ملك حفنى ناصف(١٦)، وانتقلت إلى قصرالباسل بالفيوم،تجولت بين الأعراب وجدتهم فى حالة بدائية لا يعرفون العلم ولا النظافة ولا الصحة،ولا الإنسانية، إلا بالسماع، ولمست فيهم البؤس والفساد والرجعية،كما لمست عظم تأخر المرأة وظلم الرجل وأنانيته، ولم يكن أمامها إلا أن تختار أحد أمرين إما اليأس والقعود والاستسلام، وإما الأمل والنهوض والكفاح، فأختارت الأمر الثانى،وارتضت التضحية الكاملة كشأن الأحرار من أصحاب المبادئ والأفكار. وأضطرت ملك بعد ذلك إلى إرسال بنيهم وبناتهم إلى بعض مدارس الفيوم والقاهرة وإلى إعطاء المتخلفين منهم الفرصة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى مكتب بالقرية وفى عنايتها بصحبتهم وملبسهم وتغذيتهم، ورفع مستواهم بما كانت تقوم به شخصياً دون عون(١٧).

وقد أسست ملك حفنى ناصف، اتحاد النساء التهذيبى، وكان يضم كثيراً من السيدات من مصر والبلاد العربية الأخرى، وكذلك بعض الأجنبيات، وكان هذا الاتحاد مصدر توجيه للسيدات والفتيات ومركز إشعاع لهن .كما أسست ملك حفنى ناصف جمعية للتمريض على غرار الصليب الأحمر (تأسس الهلال الأحمر بعد ذلك بقليل) لإرسال الأدوية والأغطية والملابس والأغذيةإلى الجهات المنكوبة بمصر، وإلى البلاد العربية كلما دعت الحاجة إلى ذلك.وعلى أثر الاحتلال الإيطالى لليبيا عام ١٩١١م، زاد نشاط هذه الجمعية، نتيجة للمجازر التى ارتكبها الاحتلال الإيطالى، ضد أهالى طرابلس الغرب، واشتد بهؤلاء الأهالى الحاجة إلى المؤن والذاد،حيث جمعت ملك حفنى كثيراً من التبرعات لمنكوبى طرابلس(١٨). ويذكر فى هذا الصدد أن ملك حفنى ناصف قد خاطت بيديها مائة بدلة للجرحى هناك فى ليبيا، فلما سئلت عن ذلك، ولماذا لا تؤجر من يخيط تلك الملابس، أجابت " يُحسن أن نحس ببعض التعب ليزداد شعورنا بالواجب تجاه أهالينا فى طرابلس الغرب"(١٩) أيضاأسست ملك حفنى ناصف، مدرسة حديثة لتعليم السيدات مهنة التمريض، ولقد أنشأت ملك هذه المدرسة فى منزلها، الكائن حينئذ فى شارع أفراح الأنجال بالمنيرة، وعلى حسابها الخاص، بما فى ذلك الأدوات الضرورية، ومكافآت المدرسات والعاملات. وكانت ملك فى هذه الجمعيات تسند رئاستها إلى غيرها كحرم على باشا شعراوى لتبعد نفسها عن المنافسة وتتفرغ للعمل التطوعى فى المجالات الأخرى(٢٠). كماوضعت ملك حفنى ناصف برنامجاً لمشغل للفتيات، وملجأ للمعوزات بالفيوم، وكانت ملك حفنى ناصف تملك خمسة وثلاثين فداناً بالفيوم، اشترتها بحرمالها الذى أدخرته، مما أخذته من والدها، ومن بيع الجواهر التى أهدتها إليها بعض الأميرات والمصريات الكبيرات. وقررت ملك أن تهب هذه المساحة من الأرض للمشغل والملجأ معاً. وقد آل نصف هذه الأرض مع كل ما تبقى لديها من مصوغات إلى زوجها عبد الستار الباسل الذى كان يملك وحده ألفين من الأفدنة. وإذا كانت ملك حفنى ناصف قد حققت كثيراً من أهدافها وطموحاتها فإنها لم تستكمل تحقيق هدفها وطموحها فى أستكمال إنشاء ذلك المشغل والملجأ، لأن الموت دهمها وهى فى ربيع شبابها فى الثانية والثلاثين من عمرها(٢١).

تعد ملك حفنى ناصف، بحق واضعة الحجر الأساسى للنهضة النسائية فى مصر، وقد استفادت من الجهود التى بذلها رواد تحرير المرأة من الرجال المدافعين عن المرأة وفى مقدمتهم قاسم أمين، كما كانت ملك حفنى ناصف من أشهر خطيبات ذلك الزمن، حيث نجحت ملك فى تجميع النساء حولها، وخطبت فيهن لتوعيتهم، وحثهن على المطالبة بحقوقهن، وكانت ملك تنادى بالتعليم الإلزامى فى المرحلة الأولى، وفتح آفاق العلم أمام الفتاة ومساواتها بالفتى، كما كانت ملك تناشد الرجال أن يعزفوا عن الأساليب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرجعية والتزمت فى معاملة نسائهم، حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية والمساواة فيما بينهم([٢٢]).

ولقد كان ارتباط زوجها بحزب الأمة – حيث كان أحد مؤسسيه – قد أتاح لها ذلك فرصة استخدام نادى الحزب، حيث بدأت أولى محاضراتها عام ١٩٠٩م فيما يعتبر أحد أكبر التجمعات الجماهيرية للنساء فى ذلك الوقت، إذ كانت مئات السيدات يتواجدن فى النادى لسماع خطبتها ([٢٣]). وفى عام ١٩١١م، عندما دعى محمد سعيد باشا – رئيس النظار حينئذ – إلى عقد المؤتمر المصرى الأول([٢٤])، بحضور جميع طوائف القطر المصرى، لبحث مختلف الإصلاحات والتوجيهات، التى يجدر بالأمة والحكومة انتهاجها، وكان هذا فى واقع الأمر، أول برلمان مصرى، يمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً، ويبحث حاجاتها بحثاً مدروساً مفصلاً شاملاً لكافة الأمور والإحصاءات.اختيرت سينما روكسى بمصر الجديدة مقراً لعقد هذا المؤتمر، ولم يكن هناك تمثيل للمرأة، لذا بادرت ملك حفنى ناصف، بتقديم خطبة للمؤتمر بعنوان " التقدم للمرأة المصرية،متضمنة برنامجا لإصلاح حال الأمة حيث قالت " لوكان لى حق التشريع لأصدرت اللائحة الآتية":([٢٥]).

المادة الأولى : حق البنات فى تعليم الدين والقرآن والسنة النبوية الشريفة.

المادة الثانية: جعل التعليم الابتدائى إلزامياً للبنات والسماح لهن بالتعليم الثانوى.

المادة الثالثة : تعليم البنات التدبير المنزلى علماً وعملاً وقانون الصحة وتربية الأطفال والاسعافات الوقتية

المادة الرابعة: تخصيص عدد من البنات لتعليم الطب بأكمله،وكذلك فن التعليم حتى يقمن بكفاية النساء وحاجاتهن.

المادة الخامسة :إطلاق الحرية فى تعليم العلوم العالية لمن تريد منهن.

المادة السادسة: تعويد البنات من صغرهن الصدق فى القول، والجد فى العمل، وغير ذلك من الفضائل.

المادة السابعة : اتباع الطريقة الشرعية فى الخطبة، فلا يتزوج إثنان قبل أن يجتمعا بحضور محرم.

المادة الثامنة : اتباع عادة نساء الأتراك بالآستانة فى الحجاب والخروج.

المادة التاسعة : ضرورة حماية مصالح الوطن.

المادة العاشرة : على إخواننا الرجال تنفيذ مشروعنا هذا.

وتجدر الإشارة إلى أن مطالب ملك هذه، كانت فى الحقيقة تعبيراً عن الأفكار التى حوتها الصحافة النسائية، على مدى عقدين من الزمان. وقد تمت مناقشة هذه المطالب فى اليوم الأخير من انعقاد هذا المؤتمر.([٢٦])

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أثارخطاب ملك هذا، ردود فعل فى المجتمع المصرى، فقد تناولـه الكتـاب بالشرح والنقد والتحليل، وقررت بعض فقراته فى مادة النصوص الأدبيـة بالمـدارس الثانوية([٢٧]).

على أية حال فإننا نلحظ فى خطاب ملك حفنى ناصف، أنها قد نهجـت نهجـاً ذا صبغة اجتماعية أساساً فى الإصلاح، ولمست قضايا تتعلق بمسائل الهوية فيما يتطـق بالتفاعل بين المجتمع والثقافة الوطنية والوافدة والمواطنة (فيما يتعلق بحقوق المرأة فى التعليم والعمل)، وإعادة ترتيب علاقات السلطة داخل العائلات. وقد بدأ ذلك واضـحاً فى مقالاتها التى نشرت فى الجريدة تحت اسم " النـسائيات " أو فـى البرنـامج الـذى وضعته لإصلاح حال المرأة وأعلنته أمام مؤتمر عام متضمناً فيما تضمن تعلـيم البنـات التعليم الابتدائى والثانوى، وجعل التعليم الابتدائى إجبارياً فى كل الطبقات، وتخـصيص عدد من البنات لتعليم الطب، والحث على أن تذهب النساء سواء فى المدن أو فى القرى لحضور الصلاة وسماع الوعاظ، وأن يضمن للمرأة حرية التـصرف بالمـال، وحريـة الإمساك بالمعروف أو التسريح بالإحسان، وأن يكفل لها حرية الرأى وحريـة التعبيـر. كذلك كانت ملك على وعى بطبيعة السلطة وعلاقتها داخل المنزل وخارجه، فدعت الأباء والأزواج لنبذ الاستبداد، حتى تنشأ الأجيال الجديدة محبة للاستقلال والدستورعلى حـد تعبيرها. بل إنها فى دعوتها لقضايا اجتماعية، مثل العزوف عن التقاليد الغربيـة فـى البيوت، وتوجيه المصريين إلى الاقتران بالمصريات لا بالأجنبيات، أشارت إلى أن هـذا فى حد ذاته نوع من كبح طغيان المد الاستعمارى من أن ينتشر داخل البيوت ومـن ثـم داخل الأمة ككل ورغم أن ملك عاشت وعايشت فترة المد الـوطنى فـى بدايـة القـرن العشرين وعاصرت مصطفى كامل مثل هدى شعراوى، إلا أننا نلحظ فى كتاباتها عزوفاً عن الخوض فى تفاصيل الحالة السياسية بمفرداتها التقليدية(الأحزاب – الانتخابـات)، فقط كانت دعوتها العامة نحو المحافظة على مصلحة الوطن والاستغناء عن الغرب بقدر الإمكان.

وقد أكد هذا شقيقها مجد الدين حفنى ناصف حيث قال " وهى أصلاً لا تكتب فـى السياسة ولا فى الحماسة، ولكن قلمها كلما دعى إليهما يلبى فى قوة وإقدام"([٢٨]). فعندما حاولت سلطات الاحتلال الإنجليزى، ضرب الوحدة الوطنية المصرية، بإشعال الخلاف بين المسلمين والأقباط، باختيار بطرس غالى باشا رئيساً للحكومـة المـصرية([٢٩])، قابلـت الصحف المصرية ذلك بمعارضة شديدة،مما دفع سلطات الاحـتلال إلـى إعـادة العمـل "بقانون المطبوعات"([٣٠]) لفرض الرقابة على الصحف "وردع الجرائـد التـى تجـاوزت الحدود" كما يدعون، فقامت ثورة احتجاج على إعادة العمل بهذا القانون، شاركت فيهـا المرأة المصرية بكتاباتها فى الصحف والمجلات، وكان فى مقدمة هـؤلاء ملـك حفنـى ناصف، حيث عارضت ملك هذا القانون. وقد أوضحت ملك أنه إذا كان هدف الحكومـة معاقبة الصحفيين "المتهورين"، فإن فى قانون العقوبات مايكفى من مواد تعطى للحكومة الحق فى معاقبة الصحف "المتهورة " ورأت ملك أن عدم استعمال الحكومة "حينئذ" لهذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القانون أدى إلى فوضى الصحافة وأنه مع مرور الوقت اعتقدت –أى الصحافة – أنها فوق القانون. ونتيجة لتنفيذ قانون المطبوعات أعلنت ملك أستياءها من هذا القانون، حيث رأت فيه ملك قتل لحرية التعبيرعن الرأى. ثم طالبت ملك بالغاء ذلك القانون.وقد نشرت ملك قصيدة تهاجم فيها هذا القانون جاء فى بعض أبياتها : (٣١)

ستسلبون غداً أغلى نفائسكم حرية ضاع فى تحصيلها العمر
حرية طالما منوا بها كذباً على بنى النيل فى الآفاق وافتخروا
أتصبرون وهذه بدء بطشهم وأول الغيث قطر ثم ينهمر

عدا ذلك لا نجد تفسيرا دقيقا لهذا الموقف، الذى انتهجته ملك حفنى ناصف، فى عزوفها عن الخوض فى قضايا من قبيل حقوق المرأة السياسية بشكل مفصل. وربما تجدر الإشارة هنا إلى ما أورده مجد الدين حفنى ناصف فى طبعة عام ١٩٦٢م من كتاب " آثار باحثة البادية " من أن الشيخ أحمد السكندرى فى كتابه " الوسيط فى الأدب العربى " حيث قال " إنها بدأت تضع كتاباً فى حقوق المرأة، أنجزت منه ثلاثة مقالات، الأولى فى المقارنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة الغربية والثانية فى حقوق المرأة المالية ، والثالثة فى حقوق المرأة السياسية خاصة فيما يتعلق بحقوقهاالانتخابية. والحق أن مجد الدين حفنى ناصف لم يذكر أنه عثر على مخطوطة هذا الكتاب، ولم يعلق على ما نقله عن الشيخ " أحمد السكندرى " فى هذا الشأن. لكن إذا صح هذا الأمر، فإن ملك كانت على وشك الخوض فى قضايا أكثر تفصيلاً، فيما يتعلق بحقوق المرأة الاقتصادية والسياسية مثل حق الانتخاب وتولى الوظائف العامة، ولكن القدر لم يمهلها. (٣٢)

ملك حفنى ناصف فى المحافل الدولية :

كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة، وإجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وسعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية (٣٣)، لذلك لم تقتصر جهودها فى الدفاع عن قضايا المرأة على الصعيد المحلى، بل إنها بذلت جهوداً مضنية فى سبيل إعلاء شأن المرأة العربية والمسلمة للرفع من قدرها بين مختلف دول العالم فقد راسلت ملك حفنى ناصف أميرة " بهوبال " المسلمة بالهند وهى سيدة كانت لها رؤيتها الإصلاحية الواضحة المرتكزة إلى أسس إسلامية والتى لمسها أحد المسئولين الإنجليز. وهو السير ريتشارد وود وضمنها فى تقرير رسمى نشرته الحكومة الإنجليزية. وقد قدمت ملك لها المشاريع لرفع مستوى المرأة هناك، مبتدئة بتعليم الفتيات المسلمات. وكانت ملك تنوى السفر إلى الهند للإشراف على تنفيذ ذلك المشروع ولكن المنية عاجلتها.كذلك راسلت ملك حفنى ناصف السيدة " خالدة أديب " التركية التى أصبحت فيما بعد أول وزيرة فى البلاد الإسلامية الحديثة، إذ اختارها كمال أتاتورك وزيرة للمعارف العمومية " التربية والتعليم الآن " فى أول وزارة شكلها أتاتورك. وعلى أثر إعلان الدستور العثمانى وعزل السلطان عبد الحميد، قامت ملك بزيارة تركيا لتلتقى بخالدة أديب فى أسطنبول، وتباحثت وإياها فى سبل رفع شأن المرأة المسلمة وعن طريقها نشرت ملك حفنى ناصف سلسلة من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المقالات فى هذا الشأن فى جريدة "جون تورك" "تركيا الفتاة". أيضا أستضافت ملك حفنى ناصف الكاتبة الإنجليزية مسز " شارلوت كمرون " وتباحثا معا فى سبيل رفع شأن المرأة. وبعد هذه المباحثات قامت تلك الكاتبة بتأليف كتابها " شتاء إمرأة فى إفريقيا " Awoman,s Winter inafrica وخصصت تلك الكاتبة فصلاً بعنوان " قناة السويس " دافعت فيه عن المرأة المسلمة، كما أوضحت لها ملك حفنى ناصف فى مباحثاتها معها. وقد أعجبت تلك السيدة الإنجليزية ببلاغة ملك حفنى وفصاحتها وسعة اطلاعها وثقافتها المتنوعة، فقالت عنها فى كتابها المشار إليه " إنها لتناقشك فى فلسفة دارون وسبنسر بشكل يدعو إلى الإعجاب " وظلت علاقة ملك حفنى ناصف بمسز شارلوت كمرون فيما بعد بالمراسلة. ([٣٤]) كما استضافت ملك حفنى ناصف الكاتبة الأمريكية " اليزابيث كوبر "،بعد زيارتها لمصر وفى مقابلة ملك لها تباحثا فى شئون المرأة وسبل رفع شأنها وقدرها، وقد شجعتها ملك على تأليف كتاب أسمته " المرأة المصرية " The Egyptian Woman أهدته إلى ملك ونشرته فى أمريكا وإنجلترا، وسائر البلاد التى تتحدث بالإنجليزية. وظلت ملك حفنى تبذل جهودها فى هذا السبيل لصالح المرأة المصرية والعربية المسلمة حتى أصبحت ملك معروفة فى الصحافة الأمريكية.([35]) كما التقت ملك حفنى ناصف بالسيدة " ديفو نشير" الفرنسية التى كانت متزوجة من محامى مصرى يعمل لدى المحاكم المختلطة بالقاهرة. وبعد وفاته أنتقلت هذه السيدة الفرنسية إلى العمل فى إحدى شركات السياحة الكبرى، وفى مقابلتها لملك حفنى تباحثا فى شئون المرأة والوسائل التى يجب اتباعها للاهتمام بالمرأة وإعلاء قدرها. وكانت ملك شغوفة بأدبها الفرنسى وثقافتها العالية، وعن طريقها تعرفت ملك على السائحات الأجنبيات النابهات، حيث كانت ملك حفنى ناصف تدعوهن وتمحو ما فى ذهنهن من تشويش فى عقولهن ضد المرأة الشرقية بصفة عامة. وكانت كثيرات من أولئك يكتبن عن ملك فى بلادهن الكثير من المقالات، وألقين هناك المحاضرات عن ملك كنموذج للمرأة العصرية المثقفة الواعية المجاهدة فى سبيل رفعة شأن المرأة العربية والمسلمة.

ويذكر فى هذا الصدد، أن ملك حفنى ناصف وهى فى قمة توهجها الأدبى ونشاطها فى المحافل الدولية، يحاول حمد الباسل([٣٦]) شقيق زوجها منعها من الكتابة، ونشرها مقالاتها، وأشعارها فى الصحف، بحجة أنه يخشى عليها من الغزل، ولكنها تنفيذاً لما قالته "عاهدت نفسى على الأخذ بيد المرأة المصرية، ويعز على أن أتخلى عن هذا العهد، وإن كان تنفيذه شاقاً ". لذلك أخذت ملك تكتب تحت اسمها المستعار وهو "باحثة البادية ".

ملك حفنى ناصف وتحريرالمرأة :

لقد اتسمت خطوات ملك من أجل إصلاح أحوال المرأة وإعطائها مزيداً من الحرية، بالهدوء الفكرى، والاستناد إلى المنطق والعقل فى آرائها مع شييء من التحفظ فى منح الحرية للمرأة، إلى درجة أن بعض المفكرين قد اتهمها بأنها ضد حرية المرأة

(٣٧). وذلك لأن العاطفة الدينية كانت مختلطة عندها بالمعانى القومية والاجتماعية، فدائماً ما كانت تربط آرائها الإصلاحية، بالنواحى الدينية، مما دفع البعض إلى القول " أنه لا ينقصها سوى العمة لتصير شيخاً، وأنها حيث تكتب لا تفارقها آثار الدين ونزعات الوطنية، والشرقية، والعروبة "(٣٨).

لقد كانت ملك تنادى باتباع الوسطية فى التعامل مع حقوق المرأة وحريتها. وكانت من المنادين أيضاً بمنح الحرية للمرأة تدريجياً حتى لا ينهار السلم الاجتماعى، ويواجه ذلك الإصلاح بالمقاومة الشديدة فى مجتمع شرقى محافظ، فيحدث ما لا تحمد عقباه. وهذا كان واضحاً فى مواقف ملك فى قضايا تحرير المرأة مثل موقفها من الحجاب والسفور، وموقفها من الحضارة الغربية. ولكن ملك كانت أكثر وضوحاً ودفاعاً عن حق المرأة فى قضايا العمل والتصدى لاستبداد الرجل وعنفه ضد المرأة.

موقف ملك حفنى ناصف من انحطاط شأن المرأة فى المجتمع وأسباب ذلك :

لم تكتف ملك حفنى ناصف بالدفاع عن قضية تعليم المرأة بل أنها كانت رائدة ضمن رواد وقادة حركة الأصلاح الاجتماعى وصاحبة برنامج خاص حيث حملت كل كتاباتها موجة عارمة من الانتقادات لما كانت تراه من مفاسد فى مجتمعها وخاصة أنها كانت ترى أن المرأة جاهلة خاملة وحياتها منصرفة الى الامور السطحية والاسراف فى المظهر دون الاشتراك الفعال فى النواحى الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع. كما أنها رأت الرجال من جانبهم لايحترمون المرأة ويعاملنها بأنانية وتسلط وتحمل ملك الرجال تبعات أعمالهم وأفعالهم.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد أرجعت ملك أسباب انحطاط شأن المرأة فى المجتمع إلى : -

١- تسلط الرجل وازدواجيته :-

أرجعت ملك حفنى ناصف أسباب أنحطاط شأن المرأة المصرية والعربية، إلى مدى تسلط الرجل بالمرأة فتقول " إننا معشر النساء لا يزال ظلم الرجل يرهقنا، واستبداده يأمر وينهى... إذا أمرنا الرجل أن نحتجب أحتجبنا، وإذا صاح الآن يطلب سفورنا أسفرنا، وإذا أراد تعليمنا تعلمنا، فهل هو حسن النية فى كل ما يطلب منا ولأجلنا، أم هو يريد بنا شراً... على الرجل أن يدعنا نمحص آراءه، ونختار أرشدها، ولا يستبد فى تحريرنا " كما استبد فى " استعبادنا " إننا سئمنا استبداده، إننا لا نخاف من الهواء ولا من الشمس، وإنما نخاف عينيه ولسانه "(٣٩).

دأبت ملك على توجيه سهام نقدها للرجال والنفاق الاجتماعى الذى يمارسونه ضد المرأة بتمييزهم بين المرأة الوطنية والمرأة الأجنبية، وإدعاءات التمدن التى يروجونها ولا ينفذونها(٤٠). وتهاجم ملك حفنى ناصف ازدواجية الرجل الشرقى فى تعامله مع المرأة الشرقية من ناحية والمرأة الغربية من ناحية أخرى، فترى أن أغلب رجالنا الذين زاروا البلاد المتمدينة، رأوا كيف يحترم الرجل الأوروبى زوجته.. فعادوا ينادون بوجوب تعليم المرأة، ويصرحون بأنهم من أنصارها. ولكن لا يلبث أن يذهب

كلامهم فى الهواء لأنهم إذا اجتمعوا بسائحة أفرنجية أو امرأة غربية، تلطفوا لها كثيراً، فساعدوها فى النزول من عربتها، وأمسكوا لها حقيبتها، ورفعوا لها الطرابيش إجلالا لها. فى حين أن أحدهم يستنكف أن يركب مع امرأته فى عربة واحدة إذا سافرت أو انتقلت إلى مكان آخر تركها ونفسها، كأنه لم يكن هو صاحب الأفكار الحديثة القائل بمساعدة المرأة، النقد نفسه توجهه ملك للمتعلمين والمتدينين الذين تبقى نساؤهم فى حال من الجهل وسوءالخلق، دون أن يهتموا بتغيير هذا الحال الفاسد داخل بيوتهم، وهم يدعون الإصلاح خارجه.(٤١)

وترجع ملك حفنى ناصف المساوئ التى تظهر فى المرأة إلى استبداد الرجل، لأن المرأة تقوم بتقليد الرجل، ولهذا فهى تطالب الرجال بضرورة إصلاح أحوالهم، حتى تنصلح أحوال السيدات، فتقول للرجال " إذا كانت فيكم بقية غيرة وحمية، وتحبون وطنكم كما تدعون، فأصلحوا أحوالكم تنصلح نساؤكم وسنوا سنة صالحة لأبنائكم وبناتكم من بعدكم يكن لكم أجرها يوم الدين.... واجعلوا من أنفسكم صراطاً تتبعه زوجاتكم. فإن كنت أيها الرجل عاقلا فلتكن زوجتك مثلك وإن كنت خليعا فامرأتك خليعة وإن أسرفت أسرفت وإن فترت فترت وهذا بحكم المعاشرة فى الخلق والعادة بالطبع ولإرضاء الزوج من جهة أخرى"(٤٢).

وفى اعتقاد ملك حفنى ناصف أن الرجل لو خفف قليلاً من كبريائه وعلم أن امرأته مساوية له فى جميع الحقوق المشتركة، وعاملها معاملة الند للند، أو على الأقل معاملة الوصي لليتيم، لا معاملة السيد للعبد، لما رأى منها هذا العناد الذى يشكوه، ولأطاعته حباً فيه لا خوفاً منه،ولا يجهل أن الاستبداد يأتى بعكس المراد.

وفى هذا الصدد يذكر أن ملك حفنى ناصف قد واجهت صعاب عديدة مع زوجها عبد الستار الباسل، وهذا يتضح من كلام أخيها مجد الدين عن حياتها فيقول " بانقضاء شهر العسل، انقضت فرحة ملك مع عبد الستار الباسل، لأنها علمت سبقه الزواج بأخرى وهى ابنة عمه ولها منه بنت وحيدة، ولم ينجب عبد الستار الباسل من ملك مما دعاه إلى إجراء عملية جراحية لملك بدعوى ضرورة إنجاب الولد ليرثه. ولكنها أضرت ملك طوال حياتها.(٤٣) اجتمعت لملك حينذاك، معاناة وضع الزوجة الثانية مع معاناة الحرمان من الأطفال مع المرض الذى بدأت نوباته تهاجمها، ومن ذلك آلام عرق النسا التى فشل فى تخفيفها العلاج الحديث، فلجأت أسرتها إلى علاج بدوى كان يتضمن الكى بمسامير ضخمة فوق موضع الألم دون تخدير. هذه الآلام مع الكتمان ربما كانت هى الأسباب التى اجتمعت لتضع حدا لحياةملك حفنى ناصف القصيرة التى توفيت عام ١٩١٨م عن ٣٢ عاماً.(٤٤)

على أية حال، فلقد وقف بعض أقطاب الحركة النسائية (٤٥) فى هذه الفترة، مواقف متباينة من رأى ملك حفنى ناصف فى مسألة استبداد الرجل للمرأة ودوره فى انحطاط المرأة وتدينها، فتؤكد نبوية موسى ما ذكرته ملك، عن دور استبداد الرجل فى تدنى وضعية المرأة، فترى أن " الرجال سعوا إلى إضعاف المرأة طمعاً فى امتلاكها،

وكان فى هذا السعى تأخرهم من حيث لا يشعرون " وتؤكد نبوية موسى على مبدأ ملك حفنى ناصف بأن إصلاح المرأة مرتبط وصلاح الرجل فتقول " أن الرجل والمرأة لا يصلح أحدهما إلا بصلاح الآخر...." فى حين نجد أن مى زيادة، نتيجة لاحتكاكها بالصفوة من الرجال وتقدير هؤلاء لها فقد دافعت عن الرجل، فترى أن ظهور الحركة النسائية يعود الفضل فيه للرجل. فتقول " إذا ذكرت الحركة النسائية ذكر أن الرجل كان موجدها، ومؤيدها إلا أنه مازال ساعياً إلى تنشيطها.. " كما أنها لا ترى فضلاً فى تربية المرأة ووجوب تعليمها وارتقائها إلا ويكون من قلم الرجل إذ ليس بين النساء من تكتب .وترد مى زيادة على كلام ملك حفنى ناصف فى القول بأن الرجل هو المسئول عن تدهور وضعية المرأة، فتدافع عن الرجل وتشترط على الرجل ضرورة قبول مساواة المرأة به فتقول عن الرجل " إنه ملك عزيز، هو الأب، والأخ والصديق، والخطيب، والزوج، فإذا سقط سقطنا معه، وإذا ارتفع كنا بارتفاعه عظيمات، لذلك نريد له خيراً ونجتهد فى تأييد دولته بشرط أن ينصب عرشنا قرب عرشه، وأن نقف إلى جواره وقف المثيل إلى جوار المثيل، نريد أن نكون متساويين فى الحقوق الأدبية والمدنية، ما دمنا متساويين فى الواجبات والمسئولية، بل إن واجباتنا ومسئوليتنا تفوق ما عليه من مسئولية وواجب " ([٤٦]).

من الواضح أن موقف مى زيادة من استبداد الرجل، لم يكن حاداً، فقد كانت ترى أن الرجل هو سبب نهضة المرأة، أكثر من كونه سبب تخلفها، وتدنى وضعيتها. ولعل السبب فى ذلك، أنها كانت تحتك بصفوة رجال المجتمع من الكتاب والمفكرين أمثال العقاد – طه حسين – لطفى السيد – سلامة موسى – مصطفى صادق الرافعى، الذين كانوا يداومون على حضور صالونها الثقافى، فلم تكن مى زيادة ترى فى الرجال سوى الوجه المضىء، ولم تتعرض له بالاضطهاد مثل ملك حفنى ناصف.

٢- الجمود الدينى عند المرأة :

أنتقدت ملك حفنى ناصف الفهم الخاطئ للقرآن، وتؤكد على أهمية الفهم المستنير له، وترى أنه ليس فى القرآن ما يحرم على المرأة تحصيل العلم، والتأمل فى الحياة أو ممارسة العمل. وطالبت ملك حفنى ناصف بتعليم الدين الإسلامى فى مدارس البنات تعليماً صحيحاً، وقد طالبت ملك كذلك، بضرورة ذهاب النساء سواء فى المدن أو القرى لحضور الصلاة وسماع الوعاظ فى المساجد، حيث أكدت ملك على أهمية الوازع الدينى لدى الجنسين، وقارنت ملك بذهاب نساء النصارى واليهود جماعات وفرادى للصلاة فى الكنائس والمعابد وسماع الوعظ الدينى، وأنهم يستفيدون من ذلك كثيراً. فكيف نرضى بأن نسبق فى هذا السبيل، والإسلام رحب الصدر شديد الحرص على حرية المرأة وقد وضعت ملك حفنى ناصف ضوابط لذهاب المرأة لاستماع الوعاظ والصلاة فى المسجد، بأن يخصص فى كل مسجد باب للنساء ومقصورة أو حاجز يصلين فيه، بحيث يسمعن كلام الخطيب ويفقهنه، ولا يختلطن بالرجال. ولكن موعد دخولهن

المسجد وانصرافهن منه سابقاً بنصف ساعة أو متأخراً مثلها عن موعد دخول الرجال وانصرافهم.([٤٧]).

لقد تعجبت ملك حفنى ناصف من كراهية المجتمع المصرى لكل ما هو جديد حتى لو كان نافعا،وبمهاجمة كل مقترح، بإحداث البدع قبل أن يثبت صحة دعواه أو خطئها. إلا أن ملك لم تهاجم القديم أو التقليد بشرط أن يكون منه فلاحاً للمجتمع. لقد طالبت ملك بحرية التفكير والتأمل فى الحياة، ودعوة العقل إلى التفكير والابتكار وتطوير الأفكار لمصلحة المجتمع. كما نوهت ملك حفنى ناصف إلى الضرر العقلى والفكرى الذى يقع فيه المفكر أو المبدع عندما لا يظن أفكاره الجديدة خيفة من أن يرميه مخالفوه فيها ويتهمونه بالثرثرة والادعاء ويصيبه ذلك بالجبن جراء ذلك.

٣- العادات والتقاليد الخاطئة :

تنتقد ملك حفنى ناصف، بعض العادات والتقاليد الاجتماعية، فتؤكد على ضرورة منع النساء من المشى فى الجنازات، ومن الاجتماع للطم، والندب والصراخ والتعديد بالطريقة القبيحة، التى لا وجود لها إلا فى مصر".. وغير خاف علينا أن النساء شديدات الانفعال والتأثر، فإن أطلق لهن العنان فى ملازمة هذه العادات خمدت نفوسهن، وفسدت عزائمهن، ومرضت أجسامهن، وعقولهن، فمن حسن النظر الابتعاد بهن عن مسلك الضرر"([٤٨]). كذلك عابت ملك حفنى ناصف على بعض السيدات من إفراطهن فى التبسم وانخفاض الصوت إلى درجة تخرجهن عن اللائق، حيث أكدت ملك على أن " المرأة الضاحكة – بلا سبب، والخفيفة إلى حد الطيش، والواطئة الصوت إلى حد الهمس، كلهن مفرطات فيما يجب أن يكن عليه.... إنما أعنى أن تصحب البشاشة الوقار، والخفة الحزم، وهدوء الصوت البيان " ([٤٩]).

اهتمت ملك بمسألة تربية المرأة اهتماماً كبيراً، ورأت أن الغرض من تربيتها هو تقريبها من السعادة بقدر الإمكان،وإعدادها لأن تكون عضواً حياً نافعاً فى جسم الأمة، وتهيئتها للقيام بأعباء الزوجية والأمومة. وترى ملك من أن نقص تربية الأبناء،هو نتيجة جهل الأم فتقول " إننا نعلم أن نقص تربيتنا الأولى، وتربية إخواننا الشبان، لاشك نتيجة جهل أمهاتنا، فهل نعرف الداء ولا نداويه ؟! إن المدارس مهما اجتهدت فى تثقيف عقول النشىء، وتهذيبه فإن المنزل له تأثير خاص فى الأطفال، وإذا شعر تلميذ أن أمه عالمة أو لها نصيب من علم ما، فإنه يسعى ليريها، أنه أهل لحبها وتقديرها إياه،فيجتهد لتحصيل العلم وإدراك المعارف المختلفة، لتكون الصلة شديدة بينه وبينها....وبالتالى فإن التربية الحسنة هى التى تعود الإنسان من صغره احترام غيره، إذا أستحق الاحترام، حتى لو كان عدواً، فالتعليم لم يفسد أخلاقيات الفتيات،وإنما هى التربية الناقصة،تلك التربية فى الحقيقة،يجب أن تكون فى أعمال البيت لاالمدرسة"([٥٠]).

ومن هنا تلقى ملك بالمسئولية على نمط التربية الذى يتلقاه النشىء فى إحداث الإصلاح المنشود على الصعيد الاجتماعى والأخلاقى، فهى تعتبر أن التربية الخاطئة هى

المسئولة عن سائر عاداتنا السيئة، وفيها عدم احترام النساء " شبابنا لم يتعودوا احترام النساء، وذلك نقص فى التربية الاجتماعية يجب أن يتداركوه "(٥١)

وترى ملك حفنى ناصف، بضرورة تكاتف البيت والمدرسة، فى عملية التربية حتى لا يكون عمل البيت معوقاً لعمل المدرسة، فينبغى أن يخفف المنتقدون من حدتهم، عند انتقاد مدارس البنات، لأن بيوتهم ونظامها أدعى إلى الانتقاد منها، والأمهات الجاهلات أكبر حجر عثرة فى سبيل نجاح المدارس، وذلك لأن معلمات المدارس تبذل جهد الطاقة فى تثقيف عقول التلميذات، وتعويدهن الفضائل، ولكن تلك الدروس، إن لم تدعمها الممارسة والمشاهدة، لا تلبث أن تزول لأن ما تقدمه المدرسة لنفع التلميذات، ينقص فى البيت، ولا سيما فى مسألة الأخلاق (٥٢).وعلى الرغم من ذلك فإن ملك حفنى ناصف قد أشارت إلى مشكلة كبيرة توجد فى مدارس البنات، وهى أمر إسناد تعليم البنات وتربيتهن إلى مدرسات أجنبيات. واعتبرت ملك أن ذلك بمثابة عقبة كؤود أمام تربية البنات فى مدارسهن، نتيجة لاختلاف الدين والعادات والتقاليد بينهن وبين الناظرات والمعلمات الأجنبيات. لذلك اقترحت ملك بضرورة إسناد الأمر إلى الوطنيات، فإن لم نستطع فعلينا أن نختار الأجنبيات، ممن تتوافر فيهن شروط الحكمة والأدب، ومن يصح فيهن أن يكن قدوة حسنة للتلميذات (٥٣).

موقف ملك حفنى ناصف من مسألة زواج المرأة :

تنتقد ملك حفنى ناصف، مسألة الزواج فى مصر، لأنه يسير على طريقة عقيمة نتيجتها فى الغالب، عدم الوفاء بين الزوجين، لأن الرجل لا يرى زوجته، فإذا سعد طالعهما اتفقا قلباً وقالباً، ورضى كل منهما بالآخر، أما البائس الذى قدر له أن يعاشر حمقاء، أو جاهلة أومسرفة فيا ويحه،كذلك الفتاة إذا فوجئت ببعل مدمن، أو سيىء السمعة، فيا طول ما تقاس من العناء، فمسألة الزواج عندنا هى ككل أمورنا نحن الشرقيين، فكلها للقضاء والحظوظ، وما شئت من المترادفات، فى حين يرى عقلاء الأمة أنه لابد للخطيبين من الاجتماع والتكلم قبل الزواج. وهو رأى سديد لم يكن النبى (ص) وأصحابه يفعلون غيره. وهومتبع عند جميع الأمم بأسرها. وقد أدى عدم رؤية الخاطب لخطيبته قبل الزواج، إلى زواج العديد من الرجال بالأجنبيات، وإذا لم نعمل على تدارك هذا الخلل فى مجتمعنا، فلن يلبث أن يحتلنا نساء الغرب، فنقع فى احتلالين،احتلال الرجال واحتلال النساء، وثانيهما أشد من أولهما (٥٤).

كما اهتمت ملك حفنى ناصف بمناقشة مسألة تحديد الحد الأدنى لسن الزواج لدى الفتيات وذلك من منظور وظيفى، يعنى بقدرة الفتاة على تحمل مسئولية الأسرة " وإنى لا أوافق بعض الأطباء، على أن سن البلوغ يجب أن يكون بعينه هو سن الزواج. إذ بالله ماذا تفهم فتاة فى الثانية عشرة من معنى الزواج، وماذا تعلم من أمور البيت، وماذا تعمل لو رزقت بأولاد.." (٥٥).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذلك ترى ملك حفنى ناصف ضرورة تحديد سن الزواج، فعلى ملاءمة سن الزوجين يتوقف كثير من الوفاق، والمحبة، والواجب ألا تتزوج الفتاة إلا متى سارت أهلاً للزواج الكفء لتحمل مصاعبه ، ولا يجوز ذلك قبل السادسة عشرة، وتزويج الصغار فيه شقاء الأمة من عدة وجوه، عناء فى الزوجية نتيجته دائماً الشقاء أو الانفصال، وكثرة وفيات الأطفال لضعف النسل، وإصابة النساء بالأمراض العصبية، والأمراض النسائية الأخرى، وزواج مختلف السن، إضعاف للنسل، وشقاء للزوجين، وقلب لنظام الطبيعة الدقيق، كذلك يأتى عدم الوفاق، نتيجة لجهل أحد الزوجين بالآخر، وزواج مختلف الطباع، كعالم وجاهلة، وبالعكس، أو غنى وفقير، ومختلف الدين والبلد، والطمع فى الغنى بغير نظر إلى الأخلاق، والزواج القسرى، فكل ذلك من أسباب عدم الوفاق، وفشل الحياة الزوجية (٥٦).

كما نالت قضية تعدد الزوجات اهتماماً كبيراً من جانب ملك، ربما لأنها تجربة تعرضت لها شخصياً، أولأنها تجربة رأتها متكررة فى المجتمع البدوى الذى عاشت فيه ولمست أثارها النفسية والاجتماعية على المرأة والأسرة ككل. وقد اجتهدت ملك حفنى ناصف فى عرض مشكلة تعدد الزوجات من سائر جوانبها مركزة على تأثيراتها المعنوية والاقتصادية والأخلاقية على الأسرة، وتميز طرحها بحس أنثوى تجسد فى مراعاة الأبعاد النفسية والعاطفية فى علاقة الزواج كعلاقة قائمة على الأبعاد المعنوية والدواخل فى الأساس، فتقول ملك حفنى ناصف راثية التى يتزوج زوجها بأخرى " يالله أليس لها قلب يتأثر وشعور يمس وعواطف تثور.. " (٥٧).

لذلك اتخذت ملك حفنى ناصف موقفاً حاداً من قضية تعدد الزوجات، حيث هاجمت ملك بضراوة تعدد الزوجات، وترى فيه مفسدة فى كل شيىء ففيه مفسدة للمال ومفسدة للأخلاق ومفسدة للأولاد ومفسدة لقلوب النساء. أما من حيث مفسدة للمال، لأن الرجل فضلاً عن تحمله أعباء أسرتين وقيامه بلوازمهما، يرى كل زوجة من الاثنتين تجتهد فى التبذير لتعجزه عن الأنفاق على الأخرى، أو لتمنعه من الزواج بأخرى. كذلك تعدد الزوجات مفسدة للأخلاق، لأن زوج الضرائر دائماً يحتال لتطمع كل واحدة فى حبه. أيضاً تعدد الزوجات مفسدة للأولاد، لأن كل ضرة تغرس كراهيتها لضرتها فى نفوس أولادها، فيشب الطفل وقد أشرب كره إخوته لأبيه وأمهم بلا مبرر سوى ما زرعته أمه فى عقله من مبادئ هدامة، فمهما فعلت امرأة الأب لترضى ابن زوجها، ومهما أحسنت معاملته، فإنه لا يفتأ يتهمها بكراهيتها له، وبأن ما تفعله معه من خير ومعروف، إنما هو لخوفها من أبيه أو مداراة لما فى قلبها منه. ومفسدة لقلوب النساء، لأن الأولى تكرهه بلا شك لإغضابه إياها وجرحه لعواطفها، والثانية لا تصافيه مطلقاً مادام متعلقاً بغيرها (٥٨).

وتؤكد ملك حفنى ناصف على مدى كراهية النساء للضرة، فتقول أنها سألت بعضهن، وقد تزوج زوجها بأخرى " هل تحبين زوجك الآن كما كنت تحبينه قبل زواجه من غيرك؟ فكان جواب كل من سألتهن ملك بالسلب والنفى. كما سمعت الباحثة من

أخريات أنهن فى الحقيقة كن يفضلن أن يرين نعوش أزواجهن محمولاً على الأعناق على أن يرينهم متزوجين بأخريات فيا الله إلى هذا الحد يبلغ بغض المرأة للضرة ؟ " (٥٩).

لهذا ترى باحثة البادية، أن ابتلاء المرأة بضرة قد يحولها إلى إنسانة شريرة، لأن الضرة تطفئ سراج بهجتها وتلهب مكانها نار حقدها، وتزرع محله بذور شرورها، فإن لم تكن تقيه يوسوس لها الشيطان، ويعلمها أساليب الانتقام والكيد. وكثيراً ما دست إمرأة السم لزوجها أو لضرتها أولابن ضرتها، فكان القضاء عليهم جميعاً، وكثيراً ما عمدت للوشاية بها عند زوجها (٦٠). " وفى مقارنة ملك حفنى ناصف بين وضع المطلقة ووضع الضرة رأت ملك حفنى ناصف، أن الطلاق أخف ألما ووطأة من الضرة، حيث رأت أن الأول (الطلاق) فيه شقاء وحرية والثانى(الضرة) فيه شقاء وتقييد.

وبعد أن تكشف ملك حفنى ناصف، مساوئ تعدد الزوجات، فإنها ترى أن الدين لم يسمح بتعدد الزوجات، بهذه الصورة المفتوحة، كما يفعل الرجال، وإنما جعل له شروطاً وقيوداً، لو اتبعت لما عانى منها النساء البائسات. ومن ناحية أخرى ترى ملك أن المستوى العلمى والأخلاقى والاقتصادى، يسهم فى تقليل تعدد الزوجات. لهذا كله اقترحت ملك ضرورة السعى إلى تقليل تعدد الزوجات لغير داع بقدر الاستطاعة لأن شقاء النساء، وأختلاف الإخوة الناشئين من جراء هذه العادة، وما يتبع ذلك من الشقاق، كل ذلك يكون من أسباب التفكك الأسرى مما يؤثر بالسلب على المجتمع ككل . (٦١).

وفى نهاية هذا المبحث يمكن لنا أن نستنتج أن ملك حفنى ناصف ترفض مسألة تعدد الزوجات، لأن به إخلال بكرامة المرأة، كما أنه يسهم فى العديد من المشكلات الاجتماعية. وبالتالى يمكن القول إن الحركة النسائية ممثلة فى ملك حفنى ناصف استطاعت أن تعبر عن نفسها فى قضية تعدد الزوجات، وأن ترفض فكرة زواج الرجل بأكثر من امرأة ووضع القيود والإجراءات التى تحد من زواج الرجل بامرأتين أو أكثر ما لم يكن هناك داع لذلك. بهذا يمكن القول إن ملك حفنى ناصف قد وضعت الأساس للفهم المنصف لوضع المرأة فى الحياة، ونادت ملك بالمساواة بين الجنسين، على أساس من الحب والاحترام المتبادل حتى تستقيم الحياة الزوجية وينصلح حال الأمة .

موقف ملك حفنى ناصف من قضية الحجاب :

اتخذت ملك حفنى ناصف موقفاً وسطاً من الحجاب فهى لا تريد التشدد فى الاحتجاب، ولا تدعو إلى سفور الغرب فتقول " لا أريد أن نرجع لحجاب جدتنا، ذلك الذى يصح أن يسمى وأداً لا حجاباً، فقد كانت السيدة تقضى عمرها بين حوائط منزلها لا تسير فى الطريق، إلا محمولة على الأعناق، ولا أريد سفور الأوربيات، واختلاطهن بالرجال فهو مضر بنا " (٦٢). لذلك ترى ملك حفنى ناصف أن حبس المرأة المصرية تفريط، وحرية الغربيين إفراط، ولا نقتبس منه إلا حالة المرأة التركية الحاضرة " حينئذ " فهى وسط بين الطرفين، ولم تخرج عما يجيزه الإسلام، وهى مع ذلك مثال الجد والاحتشام. وترفض ملك تشديد الاحتجاب على المرأة المسلمة، وترى أن الحجاب لا

ينبغى أن يمنع المرأة عن شراء حاجاتها، وأستنشاق الهواء النقى، ولا عن تلقى العلم، ولا يكون مساعداً على فساد صحة المرأة فتقول " هناك قوم يشددون فى تقدير الحجاب، فيحسبونه للمرأة مؤدباً، ويمنعون زيارة جارتها، يضيقون عليها، بحيث لا تستنشق إلا هواء بيتها الضيق الدائرة، فتفسد صحتها، وتكسل عن الحركة، ومنهم من يفتخر بأن امرأته لم تبرح بيتها طوال عمرها، وهؤلاء أيضاً متطرفون، لأن المرأة لها رجلان يجب أن تتحركا، وعينان يجب أن تبصرا، فإذا صاحبها أبوها أو أخوها أو زوجها مثلاً فى نزهة وأراها محاسن الطبيعة، ودقائق الموجودات، وجدد قواها، بالحركة، وأستنشاق الهواء الجيد، وهى بمظهرها محتشمة، فلا يخرج فى ذلك عن معنى الحجاب "(٦٣).

وترى ملك أن الحجاب لا يمنع المرأة من التعليم فتقول " أن النساء المسلمات واسعات الاطلاع لم يحل الحجاب بينهن وبين التعليم..".إلا أن ملك تنتقد الأختلاط الشديد بناءً على تقسيم المجتمع إلى ثلاث طبقات، طبقة الأغنياء ينتشر فيها الاختلاط والسفور، وهذا فيه مفسدة، وطبقة العامة "الفقراء" وينتشر فيها الاختلاط فى العمل، من أجل العيش وتشرع الآداب من أجل هذه الطبقة. وترفض ملك الاختلاط السائد بين العامة، وترى أن أفضل طبقة هى طبقة الوسط فهى أحسن الطبقات أدباً، وأكثرها حشمة ووقاراً. وإذا كانت ملك ترفض الاختلاط الشديد، فهى أيضاً ترفض الاحتجاب الشديد، لأنه يقلل من تجارب البنت، وقوة إرادتها،وترفض ملك تقليد الغربيين فى مسألة السفور، حتى لا نفقد قوميتنا، وهويتنا فتقول : " إننا لو سلمنا بما يقترحه الكتاب من ضرورة تقليد الغربيين فى أمور معاشنا ولباسنا، مما لا يوافق روح الشرق، فإننا نندمج فيهم، ونفقد قوميتنا بمرور الزمن وهذا هو ناموس الكون، إذ يفنى الضعيف فى القوى "(٦٤).

وإذا كانت ملك حفنى ناصف تنتقد سفور الغرب، فإنها لا ترفض السفور بمعنى الخروج من المنزل وكشف المرأة لوجهها وكفيها، ولكنها ترفض الانتقال الفجائى كما رفضه قاسم أمين، لأن نساء مصر متعودات الحجاب، فلو أمرتهن بخلعه لرأينا ما يجلبه على أنفسهن من الخزى، والتغير الفجائى من أسباب البلاء، وتكون النتيجة شراً على الوطن والدين، فينبغى أن نهيئ المرأة للسفور، فلو أننا متربيات على السفور، ولو أن رجالنا مستعدون له لأقررت بالسفور لمن تهواه، ولكن جموع الأمة غير مستعدة له الآن "حينئذ "، وذلك لأن خروجنا بغير حجاب لا يضر فى نفسه إذا كانت أخلاقنا، وأخلاق رجالنا على غاية الكمال، وأظن أن هذا مستحيل أو بعيد الحصول، فإذا حصلت هذه النماذج على هذا الشرط فلا أعترض عليه. ولكن الوقت لم يحن لرفع الحجاب فعلموا المرأة تعليماً حقاً، وربوها تربية صحيحة، وهذبوا النشأ وأصلحوا أخلاقهم، بحيث يصير مجموع الأمة مهذباً، ثم اتركوا لها شأنها تختار ما يوافق مصلحتها ومصلحة الأمة(٦٥).

وبناءً على ذلك تذكر مى زيادة بأن ملك حفنى ناصف كانت من أنصار السفور مبدئياً، ومن رأيها أن كل ما تحتاج إليه المرأة، ولا تجده بين النساء كالطبيب البارع، أو الأستاذ الماهر .. الخ. يجوز أن نستعين بالرجل، وجاهرت بأنها لو كانت واثقة من كمال

المرأة، وتهذيب الرجل لما ترددت فى إباحة السفور، ولا ينبغى أن نفهم دعوة ملك حفنى ناصف للسفور، أكثر من كون هذا السفور، هو ظهور الوجه والكفين، والخروج من المنزل سواء للتعليم أو العمل، وهو نفس ما دعا إليه قاسم أمين من قبل.

إن موقف ملك حفنى ناصف من الحجاب والسفور لم يخرج عن الإطار العام لموقف الإسلام من قضية الحجاب، وعندما كانت ملك حفنى ناصف تتكلم عن السفور، لم تعن به أكثر من سفور الوجه، ورفض النقاب، والإسلام لم يحرم ظهور الوجه والكفين.

وعلى الرغم من موقف أقطاب الحركة النسائية فى تلك الفترة أمثال ملك حفنى ناصف وهدى شعراوى ونبوية موسى وغيرهن، المساير للإسلام، من قضية الحجاب، إلا أن سفور وجههن فى تلك الفترة، كان يمثل البدايات فى التمرد على النقاب، والاحتجاب المنزلى، وغالباً ما تكون البدايات صعبة، حتى يتأقلم الناس والمجتمع على الوضع الجديد – السفور – ولهذا كان موقف قاسم أمين نظرياً، ومواقف أقطاب الحركة النسائية نظرياً وعملياً يشكل ثورة على السائد فى تلك الفترة. ولكن إذا نظرنا إليها الآن تبدو مجرد مطالب متواضعة فى إطار ما حصلت عليه المرأة، ولكن يظل التاريخ دائماً يذكر أهمية البدايات التى تمثل فى الغالب ثورة على السائد والمعهود.

موقف ملك حفنى ناصف من عمل المرأة:

شهد أوائل القرن العشرين بداية المطالبة بحق المرأة فى العمل، فبعد أن حققت المرأة نجاحاً ملموساً فى مجال التعليم، كان من الطبيعى أن ينتقل أهتمامها إلى اقتطاف ثمرة هذا التعليم وهو العمل، وكانت رموز التنوير التى حاربت من أجل تعليم المرأة، هى نفسها التى خاضت المعركة من أجل المرأة إلى حقل العمل وعلى رأسها قاسم أمين فى كتابه " تحرير المرأة " والشيخ محمد عبده، والشيخ مصطفى عبد الرازق. وقد انضم إلى هذه الباقة عدد من الرائدات المصريات، ضمن المعركة من أجل الأجيال القادمة، ومن أجل تقدم هذا الوطن وكان فى مقدمتهم ملك حفنى ناصف (٦٦).

أهتمت ملك حفنى ناصف بالدفاع عن حق المرأة فى العمل، فنجدها ترفض مسألة تصنيف العمل، وإعلاء شأن الرجل على المرأة وتؤكد ملك حفنى ناصف فى الدفاع عن وجهة نظرها فى أصالة حق المرأة فى العلم والعمل انطلاقاً كعادتها من الأرضية الاجتماعية، التى تشكل القاعدة الأعم فى مصر، وبأسلوبها السهل تقول " ولما كانت أشغال منزلنا قليلة، لا تشغل أكثر من نصف النهار، فقد تحتم أن نشغل النصف الآخر بما تميل إليه نفوسنا، من طلب العلم، وهو ما يريد أن يمنعنا منه الرجال، بحجة أننا نشاركهم فى أعمالهم.لا أريد بقولى هذا أن أحث السيدات على ترك الاشتغال بتدبير المنازل وتربية الأولاد إلى الانصراف لتعلم المحاماة والقضاء، وإدارة القاطرات كلا، ولكن إذا وجدت منا من تريد الأشتغال بإحدى هذه المهن، فإن الحرية الشخصية تقضى بأن لا يعارضها المعارضون."(٦٧).

وتتهم ملك حفنى ناصف الرجل فى أنه السبب وراء ضعف المرأة، بعد أن استعبدها قروناً طويلة، حتى خيم على عقلها الصدأ، وعلى جسمها الضعف ثم يتهمها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد ذلك بأنها خلقت أضعف منه جسماً وعقلاً.ولا تذكر ملك حفنى ناصف أن الرجل متفوق فى بعض الأعمال، ولكن لو تركت للمرأة حرية القيام بهذه الأعمال، لتفوقت مثله(٦٨). ومن أجل اهتمام ملك حفنى ناصف بضرورة عمل المرأة، فقد اقترحت تعليم المرأة المصرية كل ما يلزم لحسنها من الصناعات الضرورية كالتفصيل والتطريز، وطالبت بضرورة فتح مدرسة لتخريج هؤلاء الصانعات لأننا فى شدة الحاجة إليها. وكان مما قالته " كيف ترضى أمة عددها أثنا عشر مليوناً نسمة(تعداد سكان مصر حينئذ) بأن لا يكون فيها إلا النزر، فيمن يعرفن تفصيل ثوب لائق بعروس أو مترفة أليس من العار أن نحتاج فى كل شىء إلى الأجانب حتى فى خدمة أنفسنا "(٦٩).

وتعترف ملك، بأن الأم مهما تعلمت وبأى حرفة اشتغلت فلا ينبغى أن ينسيها ذلك أطفالها فى البيت، لأن تربية الأولاد أخص بها لضرورة معاشرتها لهم فى الرضاعة، وما بعد الولادة، تعرف أطوارهم، وتقف على أحوالهم، وكذلك فهى أشفق بهم من الرجال(٧٠).

موقف ملك حفنى ناصف من الحضارة الغربية :

رفضت ملك حفنى ناصف، تقليد الحضارة الغربية، وخاصة فى المسألة النسائية، حيث ترى ملك، بأنه لا يليق بنا نحن النساء المسلمات خاصة، التشبه بنساء الغرب، فضلاً عما حدده لنا الدين الإسلامى، وأن الفطرة الغريزية فينا لا تبيح لنا أن نسعى وراء التقليد الغربى.وقد وضعت ملك حفنى ناصف قيوداً على تقليد الحضارة الأوروبية والتعامل مع المستعمر، وكان هذا موقف انتقائى منها فتقول " إننى أدعو الكتاب والباحثين للتفكير فى إيجاد مدنية خاصة بالشرق تتلاءم وطبائع بلاده،ولا تعوقنا عن اجتناء ثمار التمدن الحديث وذلك لأننا إذا اتبعنا كل شىء غربى، قضينا على مدنيتنا، والأمة التى لا مدنية لها ضعيفة هالكة لا محالة ".وترى ملك حفنى ناصف أن علينا أن ننقل عن الغرب ما يتوافق مع الشريعة الاسلامية والآداب الشرقية، وترى أن من دلائل تأخرنا أن أكثرنا يقلد المرأة الغربية، بغير نظر إلى موافقة عاداتها للشرع الإسلامى والآداب الشرقية. وهنا نلاحظ أن ملك حفنى ناصف، تتخذ موقف التيار الإسلامى سبيلا لها فى موقفها من الحضارة الغربية.كانت ملك تتابع مظاهر التحديث الشكلى الذى يأخذ به المجتمع، لاسيما الطبقات العليا، وتستنكره داعية إلى نمط من التحديد، يتوافق مع روح الشرق على حد تعبيرها مقترحة فى ذلك الأخذ بالعلم الغربى والاستفادة منه وتطويعه فى إطار هذه المدنية الشرقية، التى دعت إليها، محذرة فى الوقت نفسه، من أن الاندماج اللاواعى فى المدنية الغربية، هو أمر منذر بالفناء (٧١).

وتذهب ملك حفنى ناصف إلى أننا إذا أردنا أن نكون أمة بالمعنى الصحيح تحتم علينا أن لا نقتبس من المدنية الأوربية إلا الضرورى النافع بعد تمصيره، حتى يكون ملائماً لعاداتنا وطبيعة بلادنا، نقتبس منها العلم والنشاط والثبات وحب العمل، نقتبس منها أساليب التربية والتعليم، وما يرقينا حتى نبدل من ضعفنا قوة، وإنما لا يجوز فى عرف الشرع والاستقلال أن نندمج فى الغرب، فنقضى على ما بقى لنا من القوة

الضعيفة أمام قوته المكتسحة الهالكة. وتطالب ملك حفنى ناصف المرأة العربية بضرورة اتباع نهج المرأة الغربية فى تحصيل العلم والمعرفة، والعمل، مستعينة فى ذلك بثبات العزم وقوة الإرادة. وملك فى ذلك لا تدعو إلى الانغلاق، أو الانفصال عن التجارب العالمية الأخرى، فقط تدعو إلى الوعى بالمصالح الوطنية، وإعطائها الأولوية وقد انتقدت ملك، منهج التحديث القائم على التغريب والمحاكاة وما يؤدى إليه من تشويه فى بنية الأجيال الجديدة، بما يجعلها غير قادرة على الفعل الحضارى الأصيل أو القيام بأعباء نهضة المجتمع. وميزت ملك فى هذا السياق، بين قبول المنتج الثقافى والمنتج المادى للغرب، مؤكدة أن الحفاظ على الهوية هو الحد لما يمكن اقتباسه من الغرب، لأنها قضية وجود أو فناء. وفى ذات الوقت، فإن النهضة رهينة ببناء حضارة تجمع بين الذاتية والعصرية (٧٢).

إن ملك لا ترفض سائر معطيات المدنية الأوربية، بل ترفض تحديداً التقليد الأعمى، الذى تمثل آنذاك فى مظاهر البهرجة، والترف، وانتشار المسكرات وغيرها من العادات الخبيثة (٧٣).

لقد أدركت ملك حفنى ناصف خطورة محاربة الإصلاح باسم الدين، فأعربت عن تعصبها للدين والإصلاح معاً " إن الأديان لم تخلق لجلب البؤس، وإنما خلقت لإسعاد البشر ". وأخذت ملك تبين بالحجج الباهرة كيف أن الإسلام دين كل إصلاح، وكيف يرتكب التخلف والانحطاط باسمه، وكانت ملك فى تعصبها للإسلام رائعة حقاً، نرى ذلك فى أبسط المظاهر أحياناً، مثلما تنعى على الناس استعمال ألفاظ " صاحب العزة" و"صاحب الجلالة"، لأن صاحب العزة وصاحب الجلالة هو الله وحده سبحانه وتعالى .لقد استطاعت ملك أن تمزج مزجاً طيباً بين تعصبها للدين، وتعصبها للقومية، فهى تهاجم التعليم فى مدارس الراهبات، على أساس من التعصب للقومية وللدين معاً، وهى تهاجم الزواج بالأجنبيات على نفس الأساس، وكانت ملك بدافع تعصبها للقومية تعترض على رجال مصر وتزوجهم بالشركسيات والتركيات والكرديات أيضاً. وكانت ملك لا ترى فى هذا الزواج سوى ضياع للقومية والانتماء له، ورأت أن الزواج الأمثل، لا يكون إلا بزواج المصرى من مصرية، ذلك الزواج الذى يعمق الوطنية، ويغرس الانتماء الحقيقى للوطن والوطنية.

أفاضت ملك فى تبيان فضائل القومية، وفضائل الإسلام فى شتى المناسبات، فكانت ملك بذلك أول كاتبة عربية فى العصر الحديث، استطاعت أن تربط بين مفهوم شامل ومتعمق للتراث كتراث ومفهوم واسع للجديد والمدنية الحديثة كمدنية.

ملك حفنى ناصف وقضية تعليم المرأة :

طالبت ملك حفنى ناصف بضرورة تعليم المرأة لتشعر باحترامها لنفسها ولغيرها فالمرأة تخرج للتعليم للتزود بالعلوم والمعارف وليس بهدف مزاحمة الرجال. وتوجه ملك حفنى ناصف حديثها للرجال وتطمئنهم من عدم مزاحمة النساء لهم وتطلب ملك من الرجال أن يكفوا عن دعواهم بالشفقة على المرأة من الخروج لدور العلم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتحمل المشاق وتبين لهم أن المرأة لاتريد أن تكون محلا لإشفاقهم إنما تريد أن تكون أهلا لاحترامهم.أظهرت ملك حفنى ناصف اهتماماً خاصاً بالعلم، فترى أن العلم نور للعقل على أى حال سواء عمل به أم لم يعمل، فلو لم يكن للعلم لذة فى ذاته لما اشتغل بتحصيله الملوك، وهم واثقون أنهم لن يكونوا مهندسين ولا بحارة ولا سائقى قطارات. ولهذا فإن ملك حفنى ناصف ترى أن العلم ضرورى للبنات أيضاً([٧٤]).

وبسبب الظروف الاقتصادية السيئة التى كان يعانى منها الشعب المصرى حينئذ طالبت ملك حفنى ناصف بالإكثار من مجانية التعليم، وجعل التعليم الأولى " الإلزامى([٧٥])" إجباريا على قدر الإمكان فى مدارس البنات الموجودة حينئذ أو إنشاء غيرها لهذا الغرض، وكانت مما قالته ملك حفنى ناصف فى هذا الصدد " أن كثيراً من الفقيرات يحب أهلهن أن يعلموهن فلا يجدون لهن فى المجانية مكاناً، تكون النتيجة تركهن بلا تعليم، ولا تهذيب، فتنشئن جاهلات، وتكن أعضاء مشلولة فى جسم الأمة المصرية. وإذا لم تقم نظارة المعارف، بتعليم الفقيرات من الشعب، فواجب ديوان الأوقاف أن يخصص لهن من الأموال الخيرية ما يفى بالحاجة، ولا ننسى أن نذكر الجمعيات الخيرية، وأغنياء الأمة بتعليم الفقراء من أبنائها وبناتها ليساعدوا على ترقى الأمة فى معارج الفلاح "([٧٦]).

وترفض ملك حفنى ناصف، خوف بعض الرجال من مزاحمة المرأة لهن فى مجال التعليم "لأن المرأة ما زالت فى مراحلها الأولى، وأننا لا نزال فى الدور الأول من التعليم، ولا تزال عاداتنا الشرقية، تثنينا من الاستمرار على الدرب الكثير، فليهنأ بوظائفهم ماداموا يرون مقاعد الحقوق والهندسة، والطب والجامعة، خالية منا، فليقروا عيوناً ولينعموا"([٧٧]).

وفى تناولها لقضية التعليم، اهتمت ملك " بنوعية التعليم ". وهو أمر أملته خبرتها كمعلمة ، تعلمت فى مدارس أجنبية ووطنية، ثم اشتغلت بالتدريس. فى هذا الإطار كانت ملك دائمة الدفاع عن المدارس الوطنية.. رغم مشكلاتها – من منطلق أنها هى المنوطة بحفظ محددات الهوية من تاريخ وأخلاقيات، بينما المدارس الأخرى تقدم الثقافة الغربية.ولقد طالبت ملك حفنى ناصف بالفصل بين البنين والبنات فى جميع مراحل التعليم، لأنه مغاير للطريقة الحديثة بأوروبا من الجمع بين الجنسين فى مدرسة واحدة. إلا أن ملك نادت بتوحيد مناهج التعليم،([٧٨]) وأن تتفق هذه المناهج فيما يصح الاشتراك فيه كمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ولكى يستعد كل فيما يخصص له.

وهكذا تناولت ملك حفنى ناصف قضايا المرأة بالنقد والتحليل ووضع بعض الحلول لمشاكلها، وما يواجهها من الصعاب فى المجتمع على أسس علمية، ومن منطلق تعاليم الدين السمحة، وهى بذلك لم تخرج عن الخط الذى سار عليه الرواد الأوائل، بل أنها نظرت إلى القضية بنظرة مستقبلية لما ينبغى أن تكون عليه المرأة المسلمة.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملك حفنى ناصف ومناهج التعليم :

- مشكلات تعليم اللغة العربية :

تنتقد ملك حفنى ناصف طرق تعليم اللغة العربية، التى كانت سائدة فى عصرها، كما عابت على مدرسى اللغة العربية فى المدارس، طريقة تدريسهم لهذه اللغة، وأنه لا هم لهؤلاء المدرسين سوى أن يشحنوا أذهان التلاميذ بمختلف القواعد، متعللة فى ذلك بقولها " إن تلميذ الشهادة الابتدائية، يعجز عن كتابة خطاب صحيح أو التكلم بلغة فصحى، مع أنه يقضى أربع سنوات فى حفظ كتب النحو والتمرن عليها " ورأت ملك حفنى ناصف،أن تلميذ هذه المرحلة، يحتاج إلى سنة أو سنتين على الأكثر لتعلم مبادئ النحو فى هذه المرحلة السنية المبكرة. ولقد وضعت الباحثة علاجا، للتغلب على مشكلة تعلم النحو وقواعده، حيث إنها رأت أن يتم تعويد التلاميذ على سماع العبارات الصحيحة، وأن يكثر اطلاعهم على كتب اللغة المضبوطة الشكل، متينة الأسلوب، وأن ذلك يؤثر فى أذهانهم، ويربى فيهم ملكة اللغة، ويستعيضوا بالذوق الخاص فيها عن كثرة القواعد الثقيلة الجافة. ولم يفت ملك أن تؤكد على أن رأيها هذا، لا يعنى أن نستغنى عن قواعد النحو كلية، فقد يلجأ إليها عند الضرورة، وإنما هدفت من وراء علاجها هذا هو الإكثار من قراءة الكتب الصحيحة المفيدة للغة، والإقلال من حفظ قواعد النحو وضرورة التمرين والتطبيق على المحفوظ منه. كما انتقدت ملك حفنى ناصف مناهج التعليم فى المدارس ووصفتها بأنها غير وافية لأداء الغرض، فضلاً عن أنها مليئة بالحشو، وقد سئم التلاميذ منها لكثرة أوامرها ونواهيها، وأن التلميذ المعيد أكثر الناس شؤما واشمئزازا منها. لذلك طالبت ملك حفنى ناصف بضرورة تغيير المناهج الدراسية بين سنة وأخرى، ووضع كتب جديدة تشوق التلاميذ، وتسترعى انتباههم وتزيد من نشاطهم، لأن هذه المناهج، كما رأت ملك، ما هى إلا مناهج للحفظ والتلقين ولا تساعد على الفهم أو الاستنتاج ([٧٩]).

- الموسيقى :

رأت ملك حفنى ناصف أن العالم المتمدن يتقن العزف على الآلات الموسيقية وأن المصريات مع رقتهن الطبيعية، إلا أنهن يهملن تعلم الموسيقى، لذلك طالبت ملك، بضرورة تقرير المناهج الموسيقية فى المدارس لتدريسها، والأخذ بكل ما هو حسن فيها ولا يجب أن يقتصر الأمر على تعلم البيانو وحده. ولقد عددت ملك فوائد تعليم السيدات المصريات لفن الموسيقى، منها أنها تسهم فى تحسين حال المجتمعات النسائية فى مصر، وأنها تشغل أوقات فراغهن بشيئ مفيد يرهف الحس وينمى المشاعر([٨٠]).

- التربية الدينية :

انتقدت ملك حفنى ناصف طريقة تعليم الدين فى المدارس، لأن هدفها ينصب على تحفيظ بعض سور القرآن الكريم دون تفسير لمعناها أو توضيح أسباب نزولها، لذلك طالبت ملك بوجوب تعليم القرآن فى جميع مراحل التعليم من الابتدائى حتى المدارس العالية مع تفسير معنى كل سورة وأسباب نزولها، وتبيان ما فى هذه السور

من الإعجاز وما تشتمل عليه من روائع الحكم والفوائد. كما طالبت ملك حفنى ناصف بضرورة جعل بعض دروس القرآن الكريم، أن تكون تحريرية، يكتب فيها التلاميذ معانى السور مثل كتاباتهم لموضوعات الإنشاء كما انتقدت ملك حفنى ناصف أيضاً أسلوب المعلم فى تعليم القرآن الكريم لتلاميذه حيث قالت "لا وظيفة للمعلم إلا الجلوس ساكتاً أو الإشارة لتلميذ آخر بالقراءة .." ورأت ملك أن هذه الطريقة فى حفظ القرآن الكريم أشبه بالطريقة الببغائية بغير فهم لمعنى، مما يفسد عقول التلاميذ ويميت قوة التبصر والتعقل لدى التلاميذ. أما عن الحديث الشريف والسنة النبوية، فرأت ملك حفنى ناصف أنها غير موجودة بمناهج المدارس بالمرة، واعتبرت ملك أن ذلك يعد عيباً جسيماً، لذلك طالبت بضرورة تقرير موضوعات من الحديث الشريف والسنة النبوية لتدريسها بمختلف مراحل التعليم، حتى لو على سبيل الفهم واستيعاب معناها ومضمونها وليس الحفظ والتلقين([٨١]).

ملك حفنى ناصف وقضية المعلم :

رأت ملك حفنى ناصف أن وظيفةالمعلم،هى وظيفة الأنبياء والرسل، ومن أهم المهن والوظائف قاطبة، ولابد من أن ينال المعلم حقه من العناية والاهتمام، ليكون أول اهتمامات الحكومات لما له من أثر عظيم فى حياة الشعوب والأمم، إذ أنه هو الباعث فيها الحياة، وهو الذى يكشف عن المواهب والملكات الخفية بين التلاميذ، ومساعد للقوى الفطية على التطور والنضوج. كما أن المعلم هو قدوة التلاميذ وإمامهم المتبوع، لأنه كما يشربهم علومه ومعارفه، فإنه يشربهم كذلك أخلاقه وتسرى فيهم طباعه وسلوكياته. ونتيجة للأهمية التى ينالها المعلم والرسالة السامية التى يقوم بأدائها، رأت ملك حفنى ناصف ضرورة اختيار المعلم على أسس سليمة، حتى يصبح أهلاً لتلك المهنة السامية فتقول " ليس كل من يجمع صبياناً، ويلقى عليهم الدروس يسمى معلماً، وليس كل من ينجح فى تأدية مواد الامتحان يصح أن ينصب معلماً، بل للتعليم استعداد خاص وقدرة مدفونة فى صدور بعض الأفراد لا فى سائر المتعلمين، على ذلك يجب انتقاء المعلمين ممن خلقوا للتعليم بالفطرة، ومن المميزين على غيرهم فى النبوغ والأخلاق.. ". وفى سبيل رفعة شأن المعلم وتوفير الحياة المادية الكريمة له، انتقدت ملك حفنى ناصف الأجر الضئيل، الذى يتقاضاه المعلم، وما يترتب على ذلك من انتقاص القيمة السامية لهذه المهنة، التى تتطلب مهاما خاصة ومقومات متفردة. رأت ملك حفنى ناصف أن هذه الأجور الضئيلة للمعلمين إنما تؤثر تأثيراً سلبياً على تربية النشىء، فقد يؤدى ذلك إلى انصراف كثير من المعلمين النابغين بعيداً عن هذه المهنة سعياً وراء المال والشهرة. فتقول "لن يرغب النابغون كثيرو الآمال والأحلام فى المستقبل، فى وظيفة المعلم الشاقة البعيدة عن مظاهر الجاه والأبهة، ما لم يجذبهم إليها جاذب النفع والمال ..". أثنت ملك حفنى ناصف على جهود الحكومة فى إنشاء المدارس، لتخريج المعلمين والمعلمات على الطرق الحديثة فى التعليم. كما أثنت على قرار الحكومة حينئذ بالمساواة فى معاملة الجنسين فى الامتحانات الموضوعة، وكذلك فى توظيفهم فى مهنة

المعلم، مما يترتب على ذلك من العدالة والمساواة بينهما، لأنها بتوحيد المعاملة تقرر (أى الحكومة) أن المرأة قرينة للرجل وكفء له فى معادلتها فى الحقوق مثلما تعادله فى الواجبات. لاحظت ملك أن الفتيات الحضريات المترفات قليلات الجد، وليست لديهن الملكة والاستعداد للقيام بمهنة التدريس. لذلك طالبت بضرورة ترغيبهن وتشويقهن لتلك المهنة السامية، مع ضرورة منحهن المكافآت عند ظهور نتائجهن الحسنة وإثبات قدراتهن فى أداء تلك المهنة، وصرف ما يخصم من مرتباتهن لهن عند تركهن المدرسة، منتقدة ملك فى ذلك قانون المعاشات الذى كانت تتبعه الحكومة حينئذ، والذى لم يكن يتجاوز فى نهايته الكبرى سوى العشرين جنيهاً، والذى كان كما رأت ملك أحد أسباب عزوف الفتاة عن الاستمرار فى مهنة التدريس حتى سن الستين، مستندة فى ذلك إلى إحساس الفتاة بضياعها لمستقبلها مقابل أجر زهيد (٨٢).

موقف ملك حفنى ناصف من البعثات العلمية للخارج :

انتقدت ملك حفنى ناصف النظام الذى تتبعه وزارة المعارف العمومية (التربية والتعليم الآن) فى موضوع البعثات العلمية ونظامه خاصة تلك البعثات المرسلة إلى إنجلترا. رأت ملك حفنى ناصف أن الفتيات اللاتى يتعلمن فى مصر هم أفضل علماً وقدرة على ممارسة مهنة التدريس، من أولئك الذين يرسلن إلى إنجلترا بدعوى أن الفتيات المتعلمات فى مصر يدربن على سائر فروع التعليم ومواد العلوم المختلفة، ويمكنهن التدريس باللغة العربية أو بالإنجليزية إذا طلب منهن ذلك، وهن لطول ممارستهن التلميذات ولتخرجهن بينهن،أدرى بأخلاقهن وبمنازع تربيتهن، أفضل ممن يأتين من إنجلترا لا يعلمن من عادات البلد وتقاليده شيئا، أو ممن يبعثن فى الإرسالية لتعلم فرع واحد من التعليم لا يمكنهن تدريس غيره.وقد استندت ملك فى رأيها هذا على أن هؤلاء الفتيات يرسلن لإنجلترا عقب نيلهن الشهادة الابتدائية مباشرة، أى فى السن الذى تنضج فيه مداركهن، مما يجعل هؤلاء الفتيات أكثر تقبلاً للثقافة الأجنبية وعادات البلاد وتقاليدها المرسلة إليها، أكثر من تقبلهم لثقافتهم العربية وبيئتهم التى نشأوا فيها، مما يؤثر بالسلب على عقول التلاميذ ونشأتهم الثقافية، بل والتربوية أيضاً نبهت ملك إلى تفريق الوزارة فى معاملة المعلمات المصريات اللاتى تعلمن فى مصر، والمعلمات المصريات اللاتى تلقين تعليمهن فى الخارج. حيث كانت أجور المعلمات المصريات، اللاتى تعلمن فى مصر رغم كفاءتهن، أقل بكثير من المعلمات المصريات اللاتى تعلمن بالخارج، وكذلك أغلب المعلمات الأجنبيات كانت أجورهن مرتفعة للغاية. وقدرأت ملك أن هذا التفريق فى المعاملة قد يؤدى إلى عوامل عكسية تؤثر بالسلب على تلك المهنة السامية بدون مبرر. وقد يحملن كثيراتٍ منهنٍ على ترك التعليم كلية.

وضعت ملك حفنى ناصف حلاً جذرياً للمساواة فى المعاملة وهو أن يكون ميزان الترقى هو الكفاءة وليس التخرج فى البلاد الأجنبية، وتثبت تلك الكفاءة بعد التمرين عملياً على التعليم سنة أو سنتين فى مدارس مصر، وهذا يحدث لخريجات مصر فقط، ولا يحدث لمثلهن فى الخارج " خريجات مصر هن وحدهن النابغات فيه فإنهن لا ينلن

شهاداتهن (الدبلومات) إلا بعد أن يمضين سنتين تمريناً عملياً بعد نجاحهن فى الامتحانات.أما الأجنبيات وخريجات مصر فى الخارج فلا يؤدين أى تمرينات. وفى هذا التباين فى المعاملة والتفريق فى المساواة من الغبن الفاحش على الوطنيات على ما فيه من الظلم والتعسف بدون مبرر." إلا أن ذلك لا يعنى أن ملك حفنى ناصف تعترض على إرسال الفتيات المصريات إلى الخارج لتلقى العلوم والاستزادة منها، ولكنها نبهت الحكومة والوزارة إلى ضرورة اتباع الحيطة والحذر فى مراقبة هؤلاء الفتيات المرسلات للخارج فى بعثات علمية، وذلك لظروف المرحلة السنية التى يسافرن فيها أولئك الفتيات، والتى تكون فى الغالب من سن اثنى عشر إلى ستة عشر سنة. ويكون هؤلاء الفتيات بلا رقابة فى بلاد يجهلن فيها هؤلاء الفتيات عادات وتقاليد أهلها. وقد ينبهر هؤلاء الفتيات من حرية المرأة هناك وتحررها من القيود، واختلاف طبائعهم وعاداتهم عن مجتمعاتنا، وهذا يدعو أسر هؤلاء الفتيات إلى التخوف من إرسال بناتهن ضمن تلك البعثات، مما يوجب على الوزارة وضع أسس ومعايير علميه مدروسة للحفاظ على بناتنا من الانسياق وراء المدنية الغربية انسياقاً أعمى، مما يؤثر على عقول بناتنا عند عودتهم للتعليم فى المدارس المصرية.

وفاة ملك حفنى ناصف :

أصيبت ملك حفنى ناصف بالحمى الإسبانيولية التى أنهكت قواها، فأفقدتها الحياة لتفارق الدنيا فى يوم السابع عشر من أكتوبر عام ١٩١٨م، وهى فى سن الثانية والثلاثين من عمرها. وشيعت جنازتها من شبرا، وصلى عليها فى جامع أولاد عنان بميدان باب الحديد (رمسيس)، وسارت الجنازة من ذلك المكان سيراً على الأقدام حتى مدافن الأسرة بالإمام الشافعى. وفى هذه الجنازة انقلبت مدينة القاهرة رأساً على عقب، لأن النساء شاركن الرجال فى تشييع هذه الجنازة الكبيرة، فكانت جمهرة الكبراء ورجال الفكر وطلبة المدارس الثانوية والعليا، تسير فى جنازتها يتقدمها مندوب من قصر السلطان لتقديم العزاء الشخصى (لأن المندوب لم يكن ليسير بصفة رسمية فى جنازات النساء) وكذلك رئيس الوزراء والوزراء وكبار الموظفين، وبعض النزلاء الأجانب، ومراسلى الصحف الوطنية والأجنبية، وكانت السيدات يملأن الشرفات على طول الطريق وهن يبكين بكاءً مراً على الفقيدة، وقد ظللن حزينات على هذا المصاب الأليم المفاجئ.(٨٣)

وكان حفل تأبينها أشبه بمظاهرة لمطالب المرأة، كما تنوعت كلمات الرثاء، فعنها يقول أحمد لطفى السيد " أنها أفضل سيدة قرأنا كتاباتها فى عصرنا الحاضر "حينئذ"، بل تعطينا صورة الكاتبات العربيات اللاتى تفوقن على كثير من الكتاب "وقد نعتها جريدة السفور بقولها " لسنا نعلم أن تاريخنا الحديث شهد حسرة الناس لموت سيدة، كما شهد حسرتهم لموت باحثة البادية"(٨٤).

وقد رثاها أيضاً الشاعر خليل مطران فى حفل تأبينها بالجامعة المصرية فقال:(٨٥)

يا آيــة العصر حقيق بنا تجديد ذكراك على الدهر
جاهدت لكن النجاح الذى أدركه أعلى من النصر
بدت تباشير الحيــاة التى جدت فحيى طلعة الفجر

كما رثاها الشيخ مصطفى عبد الرازق فى حفلة تأبينها. وعدد عبد الرازق فــى خطبته هذه، جهود باحثة البادية فى المجال الإجتماعى، وما بذلته من تضحيات فى سبيل إعلاء شأن المرأة المسلمة والعربية، موضحاً نبوغهــا وموهبتهــا الفطريــة، وســعة إدراكها، وكان مما قاله عبد الرازق فى هذا الشأن " كان صــوت باحثــة البادية قــوة لأنصار الإصلاح، فلما خفت أحسست بمكان البلاد خالياً، كان صوت باحثة البادية فــى إصلاح حال المرأة عندنا، أقرب الأصوات إلى قلوب النساء، وأقواها تأثيراً. كانت تريــد للمرأة المصرية، أن يملأ العلم عقلها، ويملأ الإيمان قلبها، لتغلب بقوى العلم والإيمــان، كل ما يقف فى سبيل حريتها ورقيها ..."كذلك رثتها صديقتها" مى زيــادة " فــى حفــل تأبينها. وقد نشر هذا الرثاء فى مجلة الهلال، وكانت مما ذكرته فى شأن الباحثــة " أن لباحثة البادية مركزاً فريداً فى الحركة الفكرية عندنا بعد أن قام قاسم أمين، يقول بتحرير المرأة وبإعطائها ما لها من حقوق أدبية واجتماعية، قامت باحثة البادية تؤيــد كلامــه مظهرة أهلية المرأة وكرامتها، ودرجة الارتقاء العالية التى يمكنها الوصول إليها. قامت هذه المرأة العبقرية ابنة الرجل (العبقرى) تدرس أحوال البيئة المصرية، فكان لها مــن ذكائها الفطرى مرشداً أمينا، ومن إحساسها العميق منبه مخلص، ومن قلمهــا العربــى الصميم أبلغ ترجمان وخير رسول. رأت الباحثة حاجة قومها الى الإصلاح، وظلت تكتب وتخطب ناشدة الإصلاح"([٨٦]). أيضاً رثتها السيدة هدى شعراوى فى خطبة الافتتاح فــى حفل تأبينها بالجامعة المصرية وكان مما ذكرته " كانت الباحثة أول مصرية دفعها النبوغ وساقها النبل والفضل والإخلاص الى هذه الدار لنلقى عليكن نتائج اختباراتها، وخلاصة أفكارها ومعلوماتها للنهوض بكن فى معترك الحياة الى مدارك النجاح والفلاح، شارحة لكل تلك العلل التى تهدد حياتنا القومية، وآدابنا الشرقية ولم تقتصرعلى وصــف الــداء وتشخيصه، بل وقفت بكن على الدواء الناجح لكل داء"([٨٧]).

كما خصصت المجلات والصحف لفترة طويلة بعد وفاتها صفحات كاملة للتأبين، ولم يبخل شاعر أو كاتب أو خطيب لم يوف ملك حقها من الوفاء والتكريم والثناء علــى مجدها وتاريخها الحافل. كما كرم ملك حفنى ناصف بعد وفاتها، العديــد مــن الجهــات الرسمية، حيث كانت الجامعات والمدارس والصحف والإذاعة، تحتفل بذكراها كل عــام. كما احتفلت بها مدارس البنات قاطبة فى عام ١٩٥٨م بذكراها الأربعين لوفاتها بــصفة رسمية، وذلك بتوجيه من وزارة التربية والتعليم، بناءً على توصية من المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، الذى أوصى أيضاً فى تلك المناسبة مصلحة البريــد بإصدار طابعين تذكارين لملك ولأبيها، غير أن الطابعين لم يصدرا لضيق الوقت. أيــضا هناك العديد من المدارس والشوارع التى تحمل اسمها تخليدا لذكراها وتقديرا لدورها فى الحياة الأجتماعية المصرية.([٨٨])

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خاتمـــــة :

بعد هذا العرض عن شخصية ملك حفنى ناصف، ودورها فى الحياة الاجتماعيـة المصرية، يمكننا أن نتساءل هل غيرت ملك من أحوال المرأة فى عصرها ؟ وهل أثمرت دعوتها تلك ؟من الملاحظ أن ملك لم تكن تقف وحدها، كان قاسم أمين الذى خاض غمار المعركة الكبرى معاصرا لها، دعا الى السفور وفسر دعوته إزاء الجمود والرجعية، بأنه يمكن أن يكون سفورا تدريجيا، ولكنه دعا إلى تأليف جماعة من مائة تنـزع نـساؤهم وبناتهم الحجاب دفعة واحدة لتنفيذ الدعوة. أما ملك فكانت ترى أنه من طبيعة الأشـياء أن نتدرج كثيرا ونتأنى فى موضوع الحجاب والسفور إلى أن تحصن المرأة بالعلم.

إن دعوة ملك هذه من أجل الدفاع عن المرأة وحقوقها، كانت دعـوة وسـطية اتسمت بالعقل والهدوء الفكرى الملائم لظروف المجتمع المصرى وتقاليـده فـى تلـك الفترة، فلم تكن دعوتها حرباً بين جنسين، بل إن أكثر مكاسب المرأة كانت نتيجة لجهود متضافرة من النساء والرجال على السواء، فنضجت حركة تحرير المرأة وأصبحنا نـرى المجتمع كله وحدة متماسكة، أية مشكلة فيه هى مشكلة تصيب المجتمع كله وأى خلـل فيه يصيب الكيان كله بالمرض والفوضى، وهكذا بفضل ملك حفنى ناصف وأمثالها ممن تزعمن الحركة النسائية فى الشرق العربى، لم تأخذ الدعوة صورة من صور الانحـراف أو المبالغة ولا صورة من صور الخلط أو العنف، وإنما سارت الحركـة ببركـة الـدين الإسلامى الحنيف فى مدار واضح وإلى غايات لا يختلف حول جوهرها رجال ولا نساء.

لقد دعا رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك ومحمد عبده وقاسم أمين،كمـا دعـت عائشة التيمورية وملك حفنى وهدى شعراوى وغيرهن من السيدات العربيات إلى تعلـيم المرأة. ولو أن العمر امتد بملك لأدت للمرأة أضعاف ما قدمت، ولكن يكفيها أنها كانـت رائدة فى الميدان، فلم تحمل امرأة قبلهاعلى عاتقها دعوة الإصلاح فى أحـوال المـرأة بمثل هذا الوضوح والتخصص والحماس. وهل نريد من رائـدة نـسائية فـى زمانهـا عداعليها الموت قبل أوانه أن تقدم أكثر مما قدمت. ويمكن القـول إن المكاسـب التـى حصلت عليها المرأة من جراء مشاركتها فى ثورة سنة ١٩١٩م ،إنما تحققـت نتيجـة لجهود دعاة الإصلاح رجالا ونساء وكان من بينهن ملك حفنى ناصف فى دفاعها عـن حقوق المرأة ومحاولات إصلاح أحوالها وأوضاعها فى المجتمع. ومما لاشك فيه أن هذه المكاسب لم تكن من جهاد ملك وحدها ولكن بعضه يعود إليها إن الإصلاح لايمكن أن يتم نتيجة مجهود فرد إنما يتم نتيجة تضافر آلاف الجهود ويثمر بعد أن يرويـه عـرق الملايين.

على أية حال فإننا لاندرى ولانعلم ماذا كان يمكن أن تفعله رسالة امـرأة فـى مكان باحثة البادية لوبلغت بأفكارها مدى أبعد فالقدر لم يمهلها حيث إنها توفيت وهـى فى ريعان شبابها عن عمر يناهز اثنتين وثلاثين عاما لكن البذرة التى غرستها لاتزال

٥٠٣

مستمرة فى أجيال من النساء،كما أن أسمها سوف يبقى خالدا مادامت كلماتها وآرائها الإصلاحية باقية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهوامـــــش

[1])عاشت ملك حفنى ناصف فى أطراف الصحراء فى بادية الفيوم، وذلك بعد زواجها من عبد الستار الباسل شيخ قبيلة الرماح بالفيوم فى مارس ١٩٠٧م، حيث ذهبت ملك للحياة معه فى الصحراء. وهناك نادت ملك بتعميرها وأطلقوا عليها باحثة البادية : فاطمة محمد علوان إبراهيم : قضايا المرأة فى مجلس النواب المصرى من سنة ١٩٢٤ – ١٩٥٢م رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية البنات، جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٥ م ص ١٤٩، ١٥٠.

[2]) مجد الدين حفنى ناصف " آثار باحثة البادية " "ملك حفنى ناصف " (١٨٨٦ – ١٩١٨) تجميع وتبويب، تقديم دكتورة سهير القلماوى، وزارة الثقافة والارشاد القومى – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر – الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م .ص ١١.

[3]) هو الشقيق الأكبر للملك فؤاد بن الخديوى إسماعيل وسلطان مصر من سنة ١٩١٤م إلى سنة ١٩١٧م.

[4]) جورجيت عطية إبراهيم : هدى شعراوى : الزمن والريادة، الجزء الأول، دمشق – دار عطية للنشر سنة ١٩٩٨م ص ٦٦.

[5]) كان والد ملك " حفنى ناصف " قد تأثر بأفكار الشيخ محمد عبده بعد حضوره لدروسه فى الأزهر الشريف وأصبح صديقا له. كما أن أن ملك حفنى ناصف قد تأثرت تأثراً شديداً بصديق والدها الشيخ محمد عبده، حيث عاصرته ملك وهو يشتغل بالقضاء وبالتعليم وبالا ستزادة من العلم فى مصر وخارجها وبممارسة الاصلاح ومقاومة الفساد والطغيان، فتشبعت ملك بروحه، واتخذته مثلاً أعلى. وكانت قراءتها له تتخذ منها هذه الهمة، لأن هذه القراءات كانت عربية إسلامية فى إطار من التمدن الغربى. : مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٤٣، محمد خلف الله أحمد : محاضرات عن حفنى ناصف كاتباً وباحثاً، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦١م ص ٩وما بعدها.

[6]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : الإصلاح السياسى فى خطاب المرأة المصرية (١٨٩٢ – ١٩٥٢ م) دراسة فى خطابى ملك حفنى ناصف وهدى شعراوى، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة – نوفمبر ٢٠٠٤ م ص١٩٧.

[7]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٤٣، ملك حفنى ناصف :. النسائيات، الجزء الأول، القاهرة، دار التقدم للنشر والتوزيع د.ت ص١١.

[8]) كانت المدرسة السنية فى الأصل، تسمى بالمدرسة السيوفية، التى أنشأتها زوجة الخديوى إسماعيل " حشمت آفت هانم أفندى " فى أول يناير ١٨٧٣م، ثم أهملت هذه المدرسة، بعد عزل الخديوى إسماعيل من الحكم، حتى تسلمتها نظارة المعارف عام ١٨٨٩م، وأطلق عليها اسم المدرسة السنية ويحمل خريجاتها الشهادة الابتدائية أسوة بالبنين.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

[9]) ذكر فى كتاب " آثار باحثة البادية " وكذلك الكثير من المصادر والمراجع، أن ملك كانت أول فتاة مصرية حصلت على الشهادة الابتدائية من المدرسة السنية عام ١٩٠٠م. إلا أن أميرة خواسك، أوضحت فى كتابها " معركة المرأة المصرية للخروج من عصرالحريم " أن خريجات الدفعة الأولى من المدرسة السنية عام١٩٠٠م، كان إلى جانب ملك حفنى ناصف كل من فيكتوريا عوض وأولجا بلتش : أميرة خواسك : معركة المرأة المصرية للخروج من عصر الحريم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٠م ص ١٦ .

[10]) وزارة التربية والتعليم : متحف التعليم، لوحة رقم (٨٥٩) بيان بأسماء الرعيل الأول من الحاصلات على دبلوم معلمات السنية. وفى هذه اللوحة إشارة إلى حصول ملك حفنى ناصف وفكتوريا عوض على شهادة الدبلوم من المعلمات السنية عام ١٩٠٣م.

بيان بأسماء الرعيل الأول من الحاصلات على دبلوم معلمات السنية :

السنة	الأسم
١٩٠٣	فيكتوريا عوض – ملك حفني ناصف
١٩٠٤	آسيا عبد الفتاح
١٩٠٥	نور الهدى عبد الله
١٩٠٦	نبوية موسى – بهية حسونة – أديل دياب
١٩٠٧	تفيده على – حبيبة نصار – كاترين وهينتى
١٩٠٨	أمينة إبراهيم – نبيهة على – روقيه رمضان
١٩٠٩	فردوس على – حميدة محمد – فكرية منسي – جليلة صادق – فينيس فورتوناتا نيازى
١٩١٠	تقريزى ديالي – فاطمة منصور – لبيبة مصطفى

متحف التعليم : لوحة رقم (٨٥٩).

[11]) ملك حفنى ناصف : النسائيات،الجزء الأول المرجع السابق ص ١٠ .

[12]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٢٩٧،٤٣،٤٢.

[13]) ملك حفنى ناصف : النسائيات، الجزء الأول، المرجع السابق ص١١.

[14]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٤٣، ٤٤.

[15]) أشرف غريب أحمد محمد : الحركة النسائية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية التربية – جامعة عين شمس – قسم التاريخ ٢٠٠٩ م ص ١٠٦.

[16]) كان زواج الباحثة من النقلات الهامة فى حياتها، فرغم أنها رفضت الكثير من الخاطبين تمسكاً بإتمام التعليم والعمل فى التدريس، فقد جاء زواجها نتيجة وساطة قوية من قبل صديق والدها الشيخ عبد الكريم سلمان وكان هذا رئيس المحكمة الشرعية العليا كما زامل حفنى

ناصف كأحد محررى الوقائع المصرية، وقد أختار ملك لمن عرفه لوالدها بأنه أحسن الرجال خلقاً وعربى أصيل وأديب مطلع، وهو عبد الستار الباسل وجيه قبيلة الرماح بالفيوم، وقد وافق حفنى وابنته على الزواج لما علماه عن أخلاق الزوج ومكانته، ثم انتقلت ملك إلى أملاك زوجها فى الفيوم وأطلق عليها" باحثة البادية " : هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق. ص ٢٠٠.

[17]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٤٨ – ٥١ .

[18]) عمر رضا كحالة : أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام، الجزء الخامس، بيروت، مطبعة الرسالة، الطبعة العاشرة، سنة ١٩٩١م ص ٧٦، أشرف غريب أحمد محمد: المرجع سابق ص١١٠.

[19]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٥٢،٥١.

[20]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول المرجع السابق ص ١٥.

[21]) محمد رجب البيومى : النهضة الإسلامية، الجزء الخامس، القاهرة،سلسلة البحوث الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ٢٠٠٠م ص ١٤٨، أشرف غريب أحمد محمد : المرجع السابق ص ١١٠.

[22]) سامية حسن الساعاتى : المرأة والمجتمع المعاصر، الناشر الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – سنة ٢٠٠٦ ص ٥٩، ٦٠.

[23]) Beth baron: thewomens Awaking in EgypT (New haven : yale uni versty press 1994)p.174-175

[24]) هو المؤتمر الذى دعى إليه محمد سعيد باشا، رداً على المؤتمر القبطى الذى عقد فى أسيوط فى الفترة من ٥ – ٨ مارس سنة ١٩١٠ م للإعلان عن بعض المطالب الخاصة بهم. وقدعقد المؤتمر المصرى الأول فى الفترة من ٢٩ إبريل إلى ٤ مايو ١٩١١م، وطبعت أعمال ذلك المؤتمر فى مجموعة طبعتها المطبعة الأميرية بالعربية فى ٢٠٤ صفحة من القطع الكبير، كما طبعت لها ترجمة فرنسية كاملة: مجد الدين حفنى ناصف: المرجع السابق. ص ٥٢ – ٥٣، محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة الآداب، د.ت ص ١١٨.

[25]) آمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر مابين الثورتين " ١٩١٩-١٩٥٢م" القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م ص ٩٦،٩٧ .

[26]) رفضت هذه المطالب برمتها، حيث لم يكن لهذا المؤتمر أى سلطة تشريعية أو تنفيذية، وكانت أهميته تكمن فى كونه سجلاً للبرامج المختلفة، وليس أداة تنفيذية : وزارة الشئون الاجتماعية، الإدارة العامة لشئون المرأة : ندوة قضايا المرأة المصرية بين الواقع والمستقبل بحث للدكتورة فرخندة حسن بعنوان " رؤية متكاملة لتحقيق مشاركة المرأة فى الحياة السياسية " (التحديات وإجراءات المواجهة) ١٨ – ١٩ فبراير ١٩٩٧ م ص ٥ كذلك :

Beth baron : op.cit: p.175

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[27]) أشرف غريب أحمد محمد : المرجع السابق ص ١٠٨.
[28]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢١٦.
[29]) جاء تعيين بطرس باشا غالى رئيساً للوزراء خلفاً لحكومة مصطفى باشا فهمى الذىأستقال فى ١١ نوفمبر ١٩٠٨م لأحتواء غضب الشعب المشتعل من حادثة دنشواى.
[30]) كان أول ظهور لهذا القانون فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١م، إبان الثورة العرابية، للحد مما وصلت إليه الصحافة في دعوتها إلى الحرية، وكان يخول لوزارة الداخلية حق إنذار الصحف، وتعطيلها مؤقتاً أو نهائياً بدون محاكمة، أو بدون قرار من مجلس النظار، أو بدون إنذار سابق، وقد اشتمل هذا التشريع على ٢٣مادة. : أشرف غريب أحمد محمد : المرجع السابق ص ١٠٦،١٠٧.
[31]) ملك حفنى ناصف : النسائيات، الجزء الأول ، المرجع السابق ص ١٣.
[32]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٣٨، درية شفيق :المرأة المصرية من الفراعنة إلى اليوم القاهرة،سنة ١٩٥٥م ص ٩٠.
[33]) كان ذلك بفضل شقيقها مجد الدين حفنى ناصف، الذى ربما كان أول مصرى متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى مدرسة العلوم الاجتماعية فى باريس بعد تخرجه من السوربون فى العقد الثانى من القرن العشرين :سامية حسن الساعاتى : المرجع السابق ص ٥٩.
[34]) كانت مسز " شارلوت كمرون " عضو الجمعية الجغرافية الملكية بلندن والتى زارت مصر ومرت بالفيوم حيث أستقرت ملك هناك بعد زواجها من عبد الستار الباسل : ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول المرجع السابق ص ١٤.
[35]) ملك حفنى ناصف : النسائيات ،الجزء الأول، المرجع السابق ص ١٤.
[36]) حمد الباسل من زعماء الحركة الوطنية بمصر عام ١٩١٩م، مغربى الأصل، ولد بمصر عام ١٨٨١م. منشأه نشأة بدوية، كان عمدة لقبيلة الرماح بالفيوم، خلفاً لوالده محمود بن حمد. كان حمد أحد أعضاء الجمعية التشريعية، اشترك مع سعد زغلول فى الحركة الوطنية، ونفى معه إلى مالطة عام ١٩١٩م، أختير وكيلاً للوفد المصرى، وألف كتاباً أسماه " نهج البداوة ". توفى عام ١٩٤٠م. : أشرف غريب أحمد محمد : المرجع السابق ص ١١٠.
[37]) مجلة العربى، عدد يونيو سنة ٢٠٠٠م مقال لإقبال بركة بعنوان : باحثة البادية " ملك حفنى " هل كانت ضد تحرير المرأة ؟. ص ٢٧.
[38]) أشرف غريب أحمد محمد : المرجع السابق ص ١١٠، ١١١.
[39]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٤٥،٤٤.
[40]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢١١ .
[41]) ملك حفنى ناصف : النسائيات،الجزء الأول ، المرجع السابق ص ٧٣، ٧٤.
[42]) نفسه : ص ٢٣،٢٢.
[43]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٤٧.
[44]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢٠٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[45]) من المعروف أنه فى مرحلة تاريخية ما، كانت ملك حفنى ناصف مع رموز أخرى على رأسها هدى شعراوى ونبوية موسى ومى زيادة، جزء من النخبة المثقفة ذاتها، وأعضاء فى جمعيات نسائية بعينها، أنشئت بمبادرات فردية، كان لملك الدور الأكبر فيها من ذلك " الاتحاد النسائى التهذيبى " حيث كانت المصريات والأوروبيات يجتمعن معاً لتبادل الأحاديث والمعلومات بشكل غير رسمى. فضلاً عن جمعية الرقى الأدبية للسيدات المصريات، التى أستهدفت إعداد وتقديم المحاضرات المخصصة للنساء :هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ١٨٧.

[46]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق : ص ٤٧، ٤٩.

[47]) مجد الدين حفنى : المرجع السابق ص ١٦١،١٦٠.

[48]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٨٩.

[49]) مجد الدين حفنى ناصف :: المرجع السابق ص ٦٤ ٢.

[50]) أحمد محمد سالم : المرجع السيابق ص ٢٦١.

[51]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢٠٥.

[52]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٢٦٢.

[53]) مجد الدين : حفنى ناصف : المرجع السابق ص ١٤١، ملك حفنى ناصف :النسائيات الجزء الأول المرجع السابق ص ٢٠.

[54]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٤١٢، ٤١٣.

[55]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول المرجع السابق ص ٤٥، هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢٠٥.

[56]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٤١٣.

[57]) هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢٠٤، ٢٠٥ .

[58]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول المرجع السابق ص ٤٤.

[59]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٢٠٦، ٢٠٧، أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٤٢٩.

[60]) ملك حفنى ناصف : النسائيات، الجزء الأول، المرجع السابق ص ٤٢.

[61]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ١٢٧.

[62]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ١٧١، ١٧٢.

[63]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول ، المرجع السابق ص ٢٨.

[64]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ١٧٣،١٧٢.

[65]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول، المرجع السابق ص ٢٩،٢٨.

[66]) أميرة خواسك : المرجع السابق ص ٨١.

[67]) ملك حفنى ناصف : النسائيات الجزء الأول ، المرجع السابق ص ١٠٩.

[68]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٣٧٨ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[69]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ١٢٨.
[70]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٣٧٨.
[71]) نفسه : ص ١٠٢، ١٠٣.
[72])هند مصطفى على محمد الشلقانى : المرجع السابق ص ٢١٦،٢١٥.
[73]) نفسه : ص ٢١٠.
[74]) ملك حفنى ناصف : النسائيات ، الجزء الأول، المرجع السابق ص ٧٩ .
[75]) "التعليم الالزامى" هو الحد الأدنى من التعليم الذى يجب أن يناله أبناء الأمة جميعا فيمحو أمية المواطنين ويكسبهم قدرة التميز العقلى والتوافق الاجتماعى. وقد أبدت مصر قدرا من الأهتمام بهذا التعليم منذ عام ١٨٦٧م عندما أصدر على مبارك لائحة رجب الشهيرة لنشر التعليم الالزامى وتعميقه لكن هذه التجربة لم تكلل بالنجاح، حتى جاء الانجليز ودعا اللورد كرومر إلى نشر التعليم الأولى فى الكتاتيب وفصول محو الامية : Lord loyld :Egypt since Cromer vol 1 London 1937 p.160
[76]) مجد الدين حفنى ناصف:المرجع السابق ص ١٢٥، أحمد محمد سالم: المرجع السابق ص٢٩٤.
[77]) أحمد محمد سالم : المرجع السابق ص ٢٩٣، ٢٩٤
[78]) Abu –Alfutouh Redwan:old and new forces in Egypt Education . new york 1951 p.111
[79]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ١٥١،١٤٩.
[80]) ملك حفنى ناصف : النسائيات، الجزء الأول، المرجع السابق ص ١٢٩، ١٣٠.
[81]) جريدة الوطن : عدد ١٦ فبراير سنة ١٩١٨م .
[82]) الأهرام : عدد ٥ يناير سنة ١٩١٨م.
[83]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٦٦،٦٥.
[84]) جريدة السفور: عدد ٢٤ أكتوبر سنة ١٩١٨م، أشرف غريب أحمد محمد: المرجع السابق ص ١١١، إملى نصرالله: نساء رائدات من الشرق، الجزء الثانى الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى سنة ٢٠٠١م ص ٧٢، يوسف نوفل: شاعر الشعب وشاعر النيل (حافظ إبراهيم) القاهرة الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٧م. ص٥.
[85]) جريدة الوطن : عدد ٢مايو سنة ١٩١٩م .
[86]) جريدة الهلال : فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٨.
[87]) ملك حفنى ناصف: النسائيات، الجزء الثانى، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع د. ت ص٣٨.
[88]) مجد الدين حفنى ناصف : المرجع السابق ص ٦٧،٦٦.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المصـــادر والمراجـــــع

أولا : وثائق غير منشورة :

وزارة التربية والتعليم : متحف التعليم، لوحة رقم (٨٥٩) بيان بأسماء الرعيـل الأول مـن الحاصلات على دبلوم معلمات السنية.

ثانيا :مذكرات وذكريات شخصية :

١- مجد الدين حفنى ناصف : آثار باحثة البادية " ملك حفنى ناصف " ١٨٨٦-١٩١٨ م جمع وتبويب مجد الدين حفنى ناصف تقديم دكتورة سهير القلماوى.وزارة الثقافة والارشاد القومى - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر - الطبعة الأولى سنة ١٩٦٢م.

٢-ملك حفنى تاصف:النسائيات الجزء الأول والثانى،دارالهدى للطبع والنشر والتوزيع د. ت.

ثالثا : المراجع العربية :

١- أمال كامل السبكى : الحركة النسائية فى مصر مابين الثورتين " ١٩١٩-١٩٥٢م" القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٦م.

٢- إملى نصرالله : نساء رائدات من الشرق،الجزء الثانى الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى سنة ٢٠٠١م.

٣- أميرة خواسك : معركة المرأة المصرية للخروج من عصر الحريم الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠م.

٤- جورجيت عطيةإبراهيم : هدى شعراوى الزمن والريادة، الجزء الأول، دمشق دار عطية للنشر سنة ١٩٩٨م.

٥- درية شفيق : المرأة المصرية من الفراعنة إلى اليوم القاهرة سنة ١٩٥٥م.

٦- سامية حسن الساعاتى : المرأة والمجتمع المعاصر الناشر الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة سنة ٢٠٠٦م.

٧- عمر رضا كحالة : أعلام النساء فى عالمى العرب والأسلام، الجزء الخامس، بيروت، مطبعة الرسالة الطبعة العاشرة سنة ١٩٩١م.

٨- فرخندة حسن : رؤة متكاملة لتحقيق مشاركة المرأة فى الحياة السياسية " التحديات وأجراءات المواجهة " وزارة الشئون الاجتماعية الادارة العامة لشئون المرأة ندوة قضايا المراة المصرية بين الواقع والمستقبل ١٨ -١٩ فبراير سنة ١٩٩٧م .

٩- لطيفة محمد سالم : المرأة المصرية والتغير الاجتماعى القاهرة سنة ١٩٨٤م .

١٠- محمد خلف الله أحمد : محاضرات عن حفنى ناصف كاتبا وباحثا، جامعة الدول العربية،معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦١م.

١١- محمد رجب البيومى : النهضة الإسلامية الجزء الخامس القاهرة سلسلة البحوث الإسلامية المجلس الأعلى للشسئون الإسلامية سنة ٢٠٠٠.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢-محمد محمد حسين : الأتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر، الجزء الأول القاهرة مكتبة الأداب د.ت.
١٣- يوسف نوفل : شاعر الشعب وشاعر النيل (حافظ إبراهيم) القاهرة الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٩٧م.

رابعا :الرسائل الجامعية :

١- أشرف غريب محمد أحمد : الحركة النسائية فى مصر فى النصف الأول من القرن العشرين رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية التربية جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٩م.
٢- فاطمة محمد علوان إبراهيم : قضايا المرأة فى مجلس النواب المصرى من سنة ١٩٢٤-١٩٥٢م رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية البنات جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٥م.
٤- هند مصطفى على محمد الشلقانى : الإصلاح السياسى فى خطاب المرأة المصرية سنة ١٨٩٢-١٩٥٢م دراسة فى خطابى ملك حفنى ناصف وهدى شعراوى رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة نوفمبر سنة ٢٠٠٤م.

خامسا : الدوريات :

١- الأهرام : عدد ٥ يناير سنة ١٩١٨م.
٢- السفور : عدد ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٨م.
٣- الهلال : عدد ٢٥نوفمبر سنة ١٩١٨م.
٤- الوطن : عددا :١٦فبرايرسنة١٩١٨م، ٢مايو سنة ١٩١٩م .
٥- مجلة العربى عدد يونية سنة ٢٠٠٠م مقال لإقبال بركة : باحثة البادية " ملك حفنى ناصف " هل كانت ضد المرأة ؟.

سادسا : المراجع الأجنبية:

1-Lord loyid : Egypt since Cromer vol 1 London 1937
2-Beth baron: thewomens Awaking in EgyT (New haven : yale uni versty press 1994).
3-Abu -Alfutouh Redwan: old and new forces in Egypt Education new york 1951.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com